

أفَعى في
«ألما داغ»

الطبعة الأولى

1446 هـ

2025 م

اسم الكتاب: أفعى في «ألما داغ»

التأليف: سعيد فايق عباسي يانيق

ترجمة: عبد الرحمن دردير

موضوع الكتاب: أدب مترجم

عدد الصفحات: 160 صفحة

عدد الملزم: 10 ملزم

مقاس الكتاب: 20*14

عدد الطباعات: الطبعة الأولى 2024

رقم الإيداع: 2024/32914

الترقيم الدولي: 978-977-9679-09-9



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرهما من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.



hakayaproduct@gmail.com



01551751909 _ 01096476744

مجموعة

قصصية

أفعى في «ألما داغ»

تأليف

سعيد فايق عباسي يانيق

ترجمة

عبد الرحمن دردير



التعريف بالمؤلف

وُلد "سعيد فايق عباسى يانيق" فى ١٨ من نوفمبر عام ١٩٠٦ م فى حى "آدابازارى"، قضى طفولته هناك أيضاً، تلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة "رهبرى ترقى"، وتلقى جزءاً من تعليمه الثانوى فى مدرسة بنين فى إسطنبول وأتمه فى مدرسة بـ"بورصة" فى الفترة ما بين عامى (١٩٢٥-١٩٢٨). بدأ تعليمه الجامعى عام (١٩٢٨) فى قسم اللغويات بكلية الآداب بجامعة "إسطنبول"، وذهب بعدها بعامين إلى "سويسرا" عن طريق البندقية؛ ليلتحق بقسم الاقتصاد بناءً على رغبة والده، فذهب إلى "غرونوبل" فى فرنسا بعد أن مكث مدة قصيرة فى "لوزان"، فبقى ثلاث سنوات فى هذه المدينة الفرنسية التى أحبها؛ فأثرت فى فنه وشخصيته جم الأثر. عمل فى تدريس اللغة التركية فى مدرسة "هاليجى أوغلو" للأيتام الأرمن بعدما عاد من فرنسا. زجّ به أبوه الذى أراد له منذ نعومة أظفاره أن يصبح تاجراً فى التجارة فلم ينجح. بحث عن سبل لكسب قوت يومه بقلمه، وبوفاة والده عام ١٩٣٩ عمل مراسلاً فى صحيفة (الخبر) عام ١٩٤٢ م؛ فنشر سعيد فايق عباسى -الذى بدأ يكتب فى الثانوية- أول شعر له فى مجلة (المكتب)

عام ١٩٢٩ م، فالكاتب الذى وهب نفسه للقصاص أوجد مفهوم القصة الحديثة للأدب التركى متناولاً موضوعات مثل البحر، والعمال، والأطفال، والفقراء، والعاطلين، والصيادين بلغة بسيطة مُقَفَّاة. اختارته جمعية "مارك توين" العالمية بالولايات المتحدة الأمريكية -التي اختارت من قبل ألتاتورك عضواً شرفياً لما قدمه من إسهامات فى الأدب المعاصر عام ١٩٥٣ م وتوفى فى ١١ من شهر مايو عام ١٩٥٤ م فى إسطنبول.

أعماله:

القصاص: براد الشاي (دار نشر رمزي عام ١٩٣٦)، الصهرىج (دار نشر جىغير عام ١٩٣٩)، المطرقة (دار نشر جىغير عام ١٩٤٠)، إنسان عديم الجدوى (دار نشر فارلىك عام ١٩٤٨)، مقهى القرية (دار نشر فارلىك عام ١٩٥٠)، السحابة فى السماء (دار نشر فارلىك عام ١٩٥١)، الشركة (دار نشر فارلىك عام ١٩٥١)، هافوز باشى (دار نشر فارلىك عام ١٩٥٢)، الطيور الأخيرة (دار نشر فارلىك عام ١٩٥٢)، ثمة أفعى فى ألما داغ (دار نشر فارلىك عام ١٩٥٤)، قليل السكر (دار نشر فارلىك عام ١٩٥٤ نشرت بعد وفاته).

الروايات: دوامة الحياة (الطبعة الثانية صدرت باسم بعض الناس)، (دار نشر يوكوش عام ١٩٤٤)، البحث عن غائب (دار نشر فارلىك عام ١٩٥٣)

الشعر: الآن وقت الحب (دار نشر ينيليك عام ١٩٥٣).

قصص تحقيقات صحفية: طفل النفق (دار نشر فارليك عام ١٩٥٥)، باب المحكمة (دار نشر فارليك عام ١٩٥٦)

أعمال أخرى: موت الصياد، يحيا الأدب (دار نشر بيلجي عام ١٩٧٧)، فندق الهواء الطلق (دار نشر بيلجي عام ١٩٨٠)، قطار عجيب (دار نشر بيلجي عام ١٩٨١)، رسالة إلى الحبيب (دار نشر بيلجي عام ١٩٨٧).

الترجمات: الحرص على الحياة لجورج سيمنون.

أسست جمعية دار الشفقة التي بها تمثيل قانوني لكاتبنا العزيز سعيد فايق عباسي فايق بأمر من السلطان بتاريخ ٣٠ مارس عام ١٨٦٣ لتوفير التعليم دون مقابل للطلاب والطالبات اليتامى وممن ليس لديهم كفاء مالي. وهذه المؤسسة التي بدأت في التفعيل منذ ذلك الحين إلى الآن وتجددت وتحولت إلى تعليم جامعي عام ١٩٥٥ وتعليم مختلط وانتقلت إلى المدينة الجامعية بمدينة مسلك عام ١٩٩٤. تُعد دار الشفقة التي هي أول مدرسة خاصة فتحتها جمعية خيرية في تركيا (أول مدرسة للشعب) من خلال توفيرها الملاذ والتعليم المشترك دون مقابل، بمنح

الطلاب والطالبات ممن مات آبائهم ويعانون الفقر، ولكنهم موهوبون بالإمكانات التعليمية، بما في ذلك الملابس، والملجأ، والمأكل، والكتب، والصحة. وهذه المؤسسة التي مازالت توفر التعليم باللغة الإنجليزية لتسعمائة طالب تتولى نفقاتها بنفسها دون مساعدة الدولة وتتمثل إمكانات جمعية دار الشفقة في بعض تبرعات أفراد الشعب محبي الخير وتقييم هذه التبرعات.

سعيد فايق عباسي فايق في حياته - زار مدرسة دار الشفقة الموجودة في الفاتح إسطنبول حينها - فاهتم بالأطفال التي كانت تدرس هناك وقدرهم، وبعد وفاته أوصى بالتبرع بكل ممتلكاته إلى دار الشفقة، عملت أمه مقبولة عباسي فايق بوصيته وتركت حقوق النشر للجمعية، لكنها اشترطت الإبقاء على قصره الموجود في بورجازادا متحفًا، إعطاء هبة القصة كل عام لاسم ابنها. حافظت أمه على جمعية دار الشفقة بناءً على وصيته بحرص، والتي انتقلت إليها عام ١٩٦٤، وكذلك قصره متحفًا وإلى يومنا هذا تنظم واحدة من أهم مسابقات الأدبية في تركيا باسم (هبة قصة سعيد فايق).

ملاحظات النشر: كتاب "أفعى في ألما داغ" عندما جُهِز للطباعة من جديد أُتخذت من الطبعة التي نشرها دار نشر فارليك عام ١٩٥٤ في حياة سعيد فايق عباسي يانيق. وعُدلت

على أساس طرق الكتابة الحديثة التي تتوافق مع مفهوم لغة هذه الفترة، وتمت إضافة أو حذف علامات الترقيم عند الضرورة مع الوضع في الاعتبار تيسير القراءة.

تم ذكر دار النشر الأولى للقصص وتاريخ النشر، ويتم ذكر شروحات متعلقة بنهاية كل قصة. والقصص التي أوردتها الكاتب في الكتاب مباشرة دون نشرها في أي جريدة تم توضيح في نهاياتها ملاحظات الناشر.

يا لها من قصة!

أخذ المطر يهطل عندما خرجت من السينما. ماذا سأفعل؟ سببتُ، وسببت الأب والأم، أردتُ المشي.. نادى أحد السائقين: "عاتيالي، عاتيالي!" أأذهبُ إلى عاتيالي في هذا الوقت من المساء؟ سأذهب. ركبْتُ بجوار السائق. وذهبنا في طريقنا مباشرة. وصلنا إلى "عاتيالي" في موجة ألوانٍ وقد رأينا بخار السيارة وكثيراً من الأضواء الحمراء والصفراء والخضراء من الزجاج المُبلَّل. إن سرت مئة خطوة من موقف "بومونتي" في "شيشلي" أصل بيتي؛ فأتدثر في فراشي ذي اللحافين وأفكر في صديقي "بانكو"، ليس لدي أحدٌ غيره الآن، ترقد أُمي مريضة في مضجعها بأحد جزر "إسطنبول" وكلبي الأسود ينتظرها ويتظرنني في بيته، ويقطن بانكو في شارع يُدعى "جيلك" يلحُم بمباريات كرة القدم، أو أنه يلعب أوراق اللعب في حلمه، بينما أنا في "عاتيالي" في منتصف ليلة ممطرة، على حد زعمي فأنا في شارع مشجر. أسير، المطر يمطر ويمطر. نعم، المطر، والوحدة، و"عاتيالي" محقون كلما ابتعدتُ اشتقت لأُمي، وبانكو، وكلبي أراب، فثلاثتهم نائمون، أُمي تشخر،

فاستيقظ أراب منصتًا للشارع، وبانكو لا يحل، قاطعته منذ فترة وجيزة، أعرج على أزقة لا أعرفها في عاتقالي مفكرًا في شخصين وحيوان، تدوي صافرات الحارس، يفرُّ أحدهم من بيته كالمجنون، فينقض عليّ: "يا اخي قتلت صديقي، خبأني"، فأشير له إلى جيب معطفي، نفذت المطر إلى غرز جيبي الذي يفوح برائحة السمس من السميط الذي أكلته صباحًا، يدخل ويختفي، فأهمس له في جيبي: "ما اسمك؟"

- هدايت.

- لماذا قتلته؟

- كنت أحبه!

- كيف كنت تحبه!

- كالمجنون يا أخي! كانت تشرق الشمس معه، وأنا أبيع حلوى بسمسم صباحًا. جييك يفوح بسميط كالمسك يا أخي، كانت تشرق الشمس معه وتغرب أيضًا، لا تمر دقيقة علي دون التفكير فيه، كأنتي أحلم، كل الكلام يأتي ويذهب لكن يتوقف عنده، كنت أفكر إن تحدث الناس عني تري بما سيجيب، وكنت أقول إن كنت سأخذ شيئًا، تُرى هل كان يأخذه؟ إن أكلت لا ينفذ الطعام داخلي، وعندما لا أسأل نفسي إن سألني

أحدهم عن الطريق هل دلّه هو؛ لأنه إن لم يدلّه الطريق داخلي أنظر بحماقة، إن رأيت شيئاً جميلاً لا يسعني استحسانه إذا لم أريه، أو لأنني لم أريه إيّاه.

- وما اسمه؟

- بكيزة.

- وماذا بعد يا هدايت؟

- وبعدها... تغرب الشمس. أترك الحلوى ذات السمسّم في المقهى، وأركض لأشرب قدحين من الخمر. هل أضاف الخمار الديوث الأفيون أم ماذا؟ فبمجرد أن أشرب، أجد بكيزة واقفة أمامي بشحمها ولحمه.

- أحقّاً؟

- لا يا صديقي كذب، خيال! ظللت أتحدث الآن يا أخي.

- هدايت، اصمت، أحدهم قادم.

ينكمش هدايت في جيب معطفي كأنه حبة سمسّم. هدأت المطر، كأنّ جزء من السماء أشرق.

نادي هدايت من جيبي: هل لي أن أحكي الباقي.

- لا يكفي هذا القدر.

- حسنا يا أخي، اصمت، كما تريد، هل ستحكي قصتي إلى بانكو؟

- سأحكي يا هدايت.

- لكن الباقي أقطع يا أخي.

- سأأخيل أنا الباقي يا هدايت، اخرج من جيبي، لقد تبلبل معطفي، فلا أقوى على حملكما، تعبت.

- حسنا أخي.

تحول السمسسم في جيبي إلى برغوث. انطلق وذهب أسفل شجرة البطم بساحة جامع الفاتح، ولمع كشارة في الظلام. تنهدت. فاسترحت، وانشرحت. كنت سأحكي قصة إلى خنزير بانكو: طعن هدايت بكيزة في قلبها بمسمار ضخمة طعنة واحدة، لم يكن لديه حل آخر. لم يتوقع الأطفال والنساء الذين يتناولون حلوى السمسسم من هدايت ذلك، حلوى السمسسم لا تسمن من جوع، يبدو أن بكيزة قالت إلى بائع حلوى السمسسم: "لن أتي"، يبدو أنه أحبها... وهل يسمن الحب من جوع؟ تزين هدايت مساء ذاك اليوم، وذهب إلى تقسيم، وكان معه ثمانى عشرة ليرة وسبعة وثلاثون قرشاً، دخل الحانة وشرب كثيراً، وكلما شرب زيد له، عندما ينظر إلى المئذنة، يجد أنه لن يشاهد

ارتفاع المئذنة فى جو السماء مع بكيزة، عندما تسأله امرأة مسكينة هل هذا الطريق يؤدى إلى هيركا شريف، فيتبه هدايت فى كنزة صفراء صوفية داخل رأسه، وعندما سألت السؤال نفسه إلى بكيزة أجابتها: "أذاك الطريق أم غيره، من أين لي أن أعرف فاطمة هانم!". ينظر هدايت إلى وجه المرأة المسكينة المندesh مبتسمًا، لكنه لن يقوى على قول الأمر نفسه، لن يقوى على وضع رأسه على ركبتى بكيزة التى تفوح كالقرو، والقطط، والأنسجة والمناديل الناعمة، ترى من وضع هذا المسمار فى جيبه، ذلك الوقح عبدالله أليس كذلك؟ هو طفلى العزيز، الأسمر ذو النمى والأنف المدبب، لاعب وسط فريق قره قابلان ابني العزيز عبدالله، سيكون هو من وضع المسمار، الوقح الذى وضع نصف تذكرة سينما، ونصف تذكرة مباراة، وفرشاة أسنان، ومفتاح ربط، قفل الباب، وشمعة من حوت العنبر، والعلكة، والكرز المدود، والصابون، بئرة الشام، والثوم أيجزن لوضع مسمار بحق الجحيم، مسمار ضخم. يلمع. رفيع مثلنا... هكذا تكون القصة جاهزة لبانكو.

- عما تبحث هنا منتصف الليل يا صديقي؟
- جئتُ لزيارة صديق. عدت من هناك وتأخرت.
- أين تمكث؟

- في شيشلي.

فتشوني. كان معي سبعة وستون ليرة وثلاثون قرشاً وقلم،
ومسودة قصة، وصورة بانكو، وقلم آخر.

- أما كان لديكَ محفظة؟

- لا!

- ماذا تفعل؟

- أكتب مقالاً.

- أيّ مقال، هل أنت كاتب؟

- أنا كاتب.

- أين؟

- توجه إيلي في إقبال عنبري.

من أين أتى إلى ذهني أن أقول سريعاً قوجه إيلي في إقبال
عنبري.

- هيا لنرى. لا بد من الذهاب سيراً، فلا تتجول ليلاً في
سن الشيخوخة.

أسير بجانب حديقة الفاتح، بانكو، أحدهم جلس في مكان
مبلل، ورفع قدميه وسند رأسه على سياج الحديقة.

وكان يصيح: تحيا الديمقراطية، يحيا الشعب، تحيا الجمهورية!

قلت: لتحيا يا صديقي.

قال: اجلس جوارى!

جلست. يا إلهي! حقا كم هذا مريح، مبلل، مبلل، بارد.

- لدي زوجة يا صديقي، إن رأيتها تهرب في الشارع،
ولدي ابنتي، ليرزقك الله مثلها. هل أنت متزوج؟ إن كنت
متزوجاً فخذ ابنتي دون مقابل، لديها عين لا ترى، والأخرى
تنظر شزراً إلى الخالق، ولديها أنف، لا تتحمل الشوق، يفوح
مخاطها، ويفوح المنديل، وهي أيضاً، لا يمكنك المرور جوارها،
وففوح منها دم الحيض باستمرار، ولدي ابن، لديه تسعة عشر
عاماً، يفوح منه البول، وقدميه أيضاً، والسجائر، وإن قلنا
المنزل، فحدّث ولا حرج، يففوح برائحة الحمام. الله أكبر! انظر
إلى هذه الأحجار، غسلتها فهي تلمع، وانظر إلى السياج المطلية
بالأخضر! صلبة، لكنها تففوح برائحة الطلاء والمطر كالمسك،
وتلك الحشائش، وتلك السحب، وانظر إلى هذه السحب التي
تمر بألوانها السوداء، والصفراء، والحمراء، الذهبية! انظر إلى تلك
المصابيح التي كبرت في عينيّ وبزغت كالنجوم، ثم تلاشت
كالأسهم المدببة! وانظر إلى تلك الشقة التي اغتسلت من
رأسها إلى أخمص قدميها، يبدو أنها باردة، يبدو أنها فعلة المطر،

تدوي. استلقي تحت هذا الكون في المياه والضوء النظيف عديم الرائحة وفي السحب، استند برأسك على السياج، فماذا ستخرج مؤخرتي في الماء؟ يلعب الكون في مخيلتي ألعاباً لا يتخيلها عقل، يتكشف البخار، تُطهر المياه الوحل والقاذورات، تنع الحشائش، والأشجار. فماذا أفعل في المنزل؟ اجلس أنت أيضاً، لا تذهب إلى منزلك؛ لنستلقي هنا، وننام، انتظر لنشعل سيجارة، انظر إلى ضوء عود الثقاب هذا، همس قائلاً: لن أحترق، ثم قال حسناً. لأحترق لأجلك يا أمي. هل هذا يحدث يا صديقي؟ رأيت حرارة تشتعل بعشرة يدٍ كهذه، وضوء، وعيد؟ ابتسم يا صديقي وأجب، وانظر إلى الدخان المتناثر من أفواهنا! كيف يتطاير، أنت تعيش يا سيدي، لامعاً، ندياً، تعيش كالزجاج، كالبلورة، كالمصباح، كالزجاج المزخرف يا صديقي، انظر إلى الدخان دخان سجائرن يا سيدي! ما هذا الشيء الأزرق؟ ما هذا الشيء الذي يضيء روح المرء من السعادة والاستمتاع؟ فدع النوم مع امرأة جانباً، وشرب الخمر، ولعب ورق اللعب مع الأصدقاء، ومشاهدة المسرحيات والأفلام... وشاهد الدنيا، خذ عيني وانظر يا سيدي. ها هو ذا لهيب الثقاب، ودخان السيجارة! هيا لننم يا عزيزي، لكن قبل أن ننام أحكي لي عن بانكو، وعن الرجل النائم المستند على سياج حديقة الفاتح، ودخان سيجارته، بانكو رجل صالح، عزيز الروح، أبلغه سلامي.

جيد أننى ارتدیت هذا الحذاء، حمداً لله أنه لا یمتص الماء، الماء فى كل مكان حولى، حذاءى به تدفئة، وینما كنت ابتعد مردداً أغنية "لا یوجد دخان لسیجارتى، ولا إیمان لحیب، بنیت قصر من ذهب درجاته من فضة"، نادانى من خلفى: "أطال الله عمرک! رأیت؟ أكان هناك دنیا، یا صديق بانکو! یا ابن السید فایق".

جلست على دكك (زیرك) وأمامى الوفاء، یلعب نفر من الجن الكرة فى شوارع أتاتورك، والریاح تلقى السحب من مرمى إلى أخرى، قلت: "تسلم مباریات كرة القدم"، وددت أن أفكر من أى أطراف الدكة سأنزل، ولأول مرة فى حیاتی أشرب الحشیش فى بورصة، بینما كنت أنظم الشعر لسهل نیلوفر جالساً على دكة باحة المسجد الخضراء، فتعجبت من أين سأنزل، دعوت أحد المارة وعندما سألتها: "من أين أنزل یا أخ؟"، نظر المسکین فى عینى خائفاً، وابتسم بعدها، وأمسك یدی وأنزلنى، فوضع ناظریه على مظلة قبعته، وقال: "لا تفعل هذا مجدداً أیها الشاب، النزول سهل، یأتى أحدهم وینزلک، لكن إن لم تستطع الصعود، فلن تنجح بعدها".

فلم نعد نستخدم شیء كهذا، لكن لنرى من الآن فصاعداً صعود الدكة، لننسى الذراع الذى أنزلنى.

الغيب عندك يا بانكو، أنت من فعلت بي هذا، تجولت
متتصف الليل من أجلك، أنت من فعلت هذا.

نظرت، فثمة كلب مستلقي أسفل دكة منحدر (زيرك).
جلست جواره، فتح عينيه، نظر محرّكاً عينيه يميناً وشمالاً،
داعبت رأسه خوف؛ فأغمض عينيه، فأطلت معه الحديث
وقلت: " بني يا ذا العينين الجاحظتين، أنا إنسان، وأنت
حيوان، كلانا كنا ديدان قبل ملايين السنين، كنا خراطين،
مخلوق من خلية واحدة، وكنا قبل ذلك ذرة في الفراغ"،
وبعدها انظر إلى ما صارت بنا الأمور، ربما نظل هكذا بعد
ذلك، وربما نتغير، لكن دعنا لا نظل هكذا، فأنت سيء الحظ
وأنا أيضاً، هناك من ينام في المنازل، ومن ينام على الحريق،
ومن هو ينام في حضن امرأة، وهناك كلاب تتلوى بجوار
مدفأة، وهناك من يجمع عظام من المطاط، يلقون نسائهم
ويركضون لإحضارهن، يذهب الحراس صباحاً للتجول،
هناك أناس يحتضنون من يحبونهم في هذه الساعة، وهاموا
في حلم شخصين، حسنا ماذا نفعل؟ لكن أنت كلب شارع
أجرب في زيرك من دون ذنب ولا فراء ترتعد من البرد، وأنا
صديق بانكو، لا شيء سوى هذا، أنا رجل مسكين في وسادة
متسخة لطمته الأمطار، وأصابه الأرق، عصبي، قلبه في شارع

شجرة الفراولة، ورأسه يبعد عن موقف قطار بومونتي مئة متر، فماذا نفعل؟ للتخيل أننا سنعيش يومًا ما في عالم مليء بالقلوب التي تنبض بالشعور بالمسؤولية خلقت من الصداقة، من البشر، والحيوانات، والأشجار، والطيور، والعضب، ولدينا أخلاق ما ذكرت في كتاب قط، أخلاق تنظر بحيرة لما فعله اليوم، وما سنفعله، لما نفكر فيه، وما سنفكر فيه، حينها تدوم صداقتنا طويلاً يا جاحظ العينين، حينها لا تقل، صديقي بانكو سيوافقني الرأي، فلن يتحدث عن أخلاق الكنيسة، وسيروي جمال صداقتنا الرائعة لأطفاله.

صادفت رجلاً في جسر أتاتورك، يتكئ بيديه على أسواره، يجيش للخليج، وقفت جواره، ارتفع بعدما داس على طرف حذائه عدة مرات، وتوقف بعدها، أخرجت منديلي وذهبت لأمسح وجهه، مسحت فمه، ومشطت شعره المتساقط على عينيه بيدي، وعندما أدار وجهه إليّ، نظر بعينه السوداوين الواسعتين بوذد: "شربت كثيراً يا عمي"، فلم أتكلف.

قلت: يجب على الشاب أن يشرب، وعندما يشرب؛ يشرب كثيراً.

- بالله عليك يا عمي، أنتَ مثلنا أيضًا؟

- في وقتها.

- أكنت تشرب كثيرًا؟

التصقت شفتاي؛ فلوحت بيدي مرتين أو ثلاثة في الهواء،
أفعل هكذا يا بانكو أيضًا، وستفهم ماذا أريد.

قال: واضح، واضح يا عمي، لم يعد هناك نور في وجهك.

غضبت: النور داخلي يا بني، داخلي يلمع. داخلي يفيض
بالحب، والصداقة، على الأقل هذا المساء، فلا تنظر لنور
الوجه، كذب، خداع.

- أهذا رأيك؟

أمسكته بينما كان يتعد مرددًا أغنية "أقالوا هذا، أقال
العروس السمينة هكذا".

قلت: لا، لن أتركك، أحكي لي أين شربت؟

- أين سيكون يا عمي؟ دعك عن محادثة منتصف الليل
بالله عليك، عدت إلى صوابي الآن، سأذهب لأنام، سنستقل
الحافلة غدا مبكرًا، إن لم نينمنا الكهل، فستقوم القيامة.

فما ستفهمه هو أن هناك زوجة تعيش في ذلك البيت المقابل،
زوجة يهودي، ذهب زوجها إلى أنقرة، فدعانا، ذهبنا، وشربنا
معًا، ألن نشرب حتى منتصف الليل؟ يبدو أنه رجل وقح،
عندما رأنا أمامه، لم يتفوه بكلمة، جلس في زاوية، وكانت

زوجته وقحة أيضًا كأنها بمفردها فى الغرفة، فكانت تعتمد إلى ولنفسها وللرجل بالراقي، شربنا سبع كؤوس دون التفوه بكلمة.

قلت: أودّ أن أستأذن.

قالت زوجته: تفضل يا سيدي.

امتقع وجه الرجل، وقال بلغة تركية رائعة: بشرف المستقبل.

امتنعت، ولا أعرف ماذا حدث فى المنزل.

قلت: يا إلهي، اتبعني.

قال الشاب الوسيم سائق العربة الشجاع: أو اتبعني أنا.

وصلنا إلى الجانب الآخر من ضفاف الخليج مهرولين من الجانب الآخر لجسر أتاتورك، وسمعت صرخته من (أونكاباني)، عندما كنت فى (أزاب كابي)، كان يقول: "اتبعني".

ها أنا ذا، جئت على حيك هكذا يا بانكو، بدأت المطر يهطل مجددًا، تحطم إناء أمام منزلك، نصفه محطم، والآخر سليم، جلست داخل الإناء، وبدأت أحكي كيف مرّ منتصف الليل عليّ فى عتيقالي باشا، وكيف دخل هدايت فى جيبي، والرجل المستلقي بحديقة الفاتح، وكلب الشارع، وسائق العربة مطارد النساء لزوجة اليهودي.

كنت نائماً أنت.

أوقظتك: "بانكو، بانكو."

نفذ صوتي من نافذة، وجمال ولقي أذنك، فنمت، لكن
لم يعد لدي صوت ولا قدرة لأصل إليك، خلدت إلى النوم
مجدداً، ومرّت حافلة.

قلت: أذهب إلى بومونتي يا أخي؟

فقال: أركب!

ركبت.

الإنسان الذي خلفته الوحدة

نظرت أبرد عندما نزع ياقة معطفه المغطاة بالفراء! فقد
أصفر وجهه الأسود الشاحب كشمع العسل.

سألته: بردت؟

رفع حاجبه، فلا يوجد دم في موضع البثور في صدغه،
توقفت، أمسكت بوجهه بين كفي ودلكته.

سألته: ماذا حدث لك؟

ابتسم، وبصق على الظلام، وهز رأسه يمناً ويسرة بشدة.

فقال: أصبح هكذا أحياناً.

قلت: لندخل حانة.

قال: لندخل، لندخل، لكن لن نشرب الآن.

قلت: دعنا نشرب.

قال: ستموت يا هذا.

قلت: سأموت.

نظرنا إلى القدحين في أيدينا فكم كان وجهه هادئًا، صامتًا،
أسمر وشاحبًا أيضًا لكن منتعش.

قال: وجهك مرهق.

قلت: مرهق.

أكل الفستق، وشرب الخمر فأكلت الفستق، وشربت الخمر،
همس بكلمات في أذني، كأنني سيغشى عليّ، ونظر إليّ متمنّعا.

قال: طعنت في السن.

قلت: طعنتُ.

نظر إلى شعري، وفي عيناى فابتسم.

قلت: لا عليك، يا إلهي، لا تعباً!

كان سيدفأ، فنزع معطفه ذي الياقة الفراء، قلت في نفسي:
ياقة معطفه فراء، ياقة معطفه فراء، قال أحدهم بداخلي: يعني
ماذا سيحدث؟ ماذا سيحدث؟ سأمر بصنع واحد مثله.

قلت: ألن أراك مجددا؟ غضب وقال: ذلك ما أعرفه.

وبعد يومين سألت عشرين واحداً ماذا يعني: "ذلك ما
أعرفه"، فلم يُجِبْنِي أحد بمعنى صريح، فلم يمر يومان، فكنا
معاً في حانة.. لم أكن أرى ما حولي، ولم أكن أراه هو أيضاً.
أنرى الهواء؟ فشردت.

- قال: انهض لنذهب.

- قلت: إلى أين؟

- إلى المباراة.

- أي مباراة؟ أيوجد مباراة في هذا الوقت؟

- المباريات في أوروبا تُقام مساءً.

لم أقل: "لا تُقام هنا هكذا"، نهضنا ونزلنا من منحدر فوقفنا في مكان، فخلع ثيابه، وانضم للاعبين الذين يلعبون في ضوءٍ خافتٍ في بداية سلم بالأسفل. سمعت أصواتًا، وصافرات، وشتائم، نظرت حولي، فوجدت آلاف البشر، أتى إلى جواري بعدها، فسألته: أتلعب؟

فقال: أَعْمِيتَ؟ ماذا تراني أفعل؟

- أنتَ أيضًا تلعب.

- هل أنا أيضًا أَلْعَبُ، ماذا أَلْعَبُ؟ ابتسم، فرأيت أسنانه، فكانت أحدها مكسورة.

- أنتَ تلعب دور الرائي.

- أحقًا هذا!

كنت أنا الرائي، فبدأت بإحداث الجلبة والتصفيق، بردت، رفعت ياقة معطفي، فأنا من وضع فراء الماشية كالذي لديه،

فشعرت بدفع الفراء على صدغي لم أتحرك بعدها، اختفى المشاهدون، واللاعبون أيضاً، فلما جاء إلى جوارى.

قال: انتهت المباراة.

قلت: هذا جيد، من فاز؟

أجابني: هم!

قلت: هذا لم يحدث.

قال: من تريد أن يفوز؟

قلت: فريقنا.

قال: من فريقنا؟

أجبت: أنتم.

قال: نحن؟ أكنتَ تريدنا أن نفوز؟

- نعم، بالطبع.

- لماذا؟

- أيوجد من أعرفه في الفريق الآخر؟

سألني: أيوجد في فريقنا من تعرفه؟

- أجبت: أنت.

قال: أحق، فأنا أيضاً لست موجوداً.

قلت له: لكنني أراك.

سألني: ماذا كنت ألعب؟

- مدافع!

- أحق رأيتني!

- أسقطك أحدهم.

- أسقطني.

- أنت تعرج.

- أعرج، وما شأنك؟

- لا شيء، ليس لي شأن.

ارتعدت وفقدته فجأة، ناديته: "بانكو، بانكو!"، لم يجب، فناداني أحدهم من الظلام: "إسحاق، إسحاق." لم أجبه، لم يكن الصوت صوته، لكن بعدها أجبت: "ماذا هناك يا هذا؟"؛ لعلّي أتلقى خبراً عن صديقي، مجدداً نادى الصوت: "إسحاق، إسحاق."

- أجبت: ماذا هناك يا هذا، ماذا هناك؟ أنا هنا!

فقال: تعرفت على أصوات قدميك المقتربة تجاهي!

كان معه ثلاثة شباب، أما الأول، فكان قصير القامة، بوجه أرمني. وأما الآخر، فارتدى سترة بائع سمك، بوجه شاحب. وأما ثالثهما، فكان طويل القامة، فكانوا يتحدثون لغة سمعت كلماتها منهم آلاف المرات، لكن لا أعرف معانيها، فلم أفهم، هم في الأمام وأنا من خلفهم صعدنا منحدرًا، فوصلنا إلى الشارع، الشارع أسفلت، الضوء داخله، والأرض مبتلة، توقفت الأمطار. حدثت نفسي قائلاً: هطلت الأمطار.

ضيعتهم، ووجدتهم عند شباك السينما، وكان هو أيضاً ينتظر عند الباب، كان يشتري تذكرة، كان طويل القامة يضحك مع ذي سترة الصياد، كان هو أسمر اللون، هادئاً ساكناً، كأنه اهتم بي دون أن ينظر إلي.

حاولت إظهار نفسي، فاشترت أنا أيضاً تذكرة، جلسوا هم في الأمام ووقفت أنا في الزاوية، كنت أرى تحركه يمنة ويسرى في الظلام، كان يتحرك يمينا ويساراً مع الرجل الذي أمامه، ثبت في مكانه قليلاً، ووضع يده على خده، وأمعن في المشاهدة. اعتدل مرة أخرى، وأخذ يأكل أظفاره، فصاح رجلٌ أربيعيني ذو معطف من بين الحشد: "لا تأكل ظفرك!"، وابتسم، أنيرت الأضواء، واختفى أصدقائه ثلاثتهم، واقرب منه الرجل الذي قال له لا تأكل أظفرك، وجلس فتحدثا لكنني لم أسمع، أخرج

صديقى القديم من ذراع معطفه ذى الياقة الفراء وشاحًا، ولفه حول رقبته، كنت أرى شعره الأسود، استدار ونظر فلم يعرفنى كأنه ينظر إلى حجر أو جدار.

- فتحت فمى لأقول: "هذا أنا يا هذا، أنا صديقك، أنا إسحاق".

ملأ هواء السينما العميق رثيَّ كالماء فصمتُ، فنهضا ومرّا من أسواق مضيئة نظرت من خلفهم بحزنٍ كأننى بقيت وحيداً، دخلت إلى مطعم متحدثاً لنفسى، وكانت صاحبة المطعم امرأة، كانت لديها شامة على خدها كأنها مازالت فتاة فى ريعان شبابها، سلّمت على مبتسمة كأننى صغرت سريعاً عشرين عاماً، عندما كنت أمرض كثيراً تقرب حرارتى من الأربعين، وتتورم يدي لتصبح عملاقة، وكان كثيراً ما يحدث هذا وأنا صغير.

فكنت أصرخ: يدي تتورم.

فكانت جدتى لأمى أو أمى تأخذ يدي فى يديها الباردة وتقولان: "لا يوجد شيء، يا صغيرى لا يوجد شيء! انظر يدك فى يداى"، كنت اهدأ لبضع دقائق، وتعود يداى لتتورم مجدداً.

تتورم يداى، يا إلهى كم أنها تتورم؟ فتصغر يدي سريعاً من البرد عندما أخرج للشارع، كنت فى الشوارع، كنت واحداً مقابل آلاف، أو واحداً مقابل عشرات الآلاف.

صرخت من داخلي: بانكو، بانكو!

نظرت إلى الساعة إذا بها الحادية عشرة إلا الربع، الشوارع خاوية، ولم يتفرق من كانوا بالسينما، ولم يصطدم بي السكارى، مررت من بينهم كالأفعى، الجميع كان يشبه بانكو، كان الجميع يذهب إلى المباراة، ركضت وراء الشاب الذي نزع فراء معطفه، جال بخاطري أن أمسكه من ياقته، وكنت سأقول: "لنذهب إلى المباراة"، لا، لا سأصطحبك إلى المطعم الألماني، يقدمون سلطة البطاطس، هل ستأكل شييتسل^(١)؟" ليتني ذهبت إلى حانة في ذلك الممر وجلست على تلك الطاولة وأتى الناس وجلسوا أزواجاً، رجل وامرأة، فأنا بمفردي، بمفردي وسط ملايين، الجرح يؤلني بمرور الوقت، ألم مر كالحنظل، أو كالسم، أمر وجدناه بعد ضياعه، أتعرف ما هو؟ أتعرف ما هو؟

لم تستطع معرفة ما لم يمكننا إيجاده دون فقد، أرفعه، أضربه! مَنْ نَظَرِ مِنَ النافذة؟ لماذا نَظَر؟ أغلق عينيك، أتتورم يديك؟ لا، لا تتورم، لا تتورم، فلتحيا، لكنها تؤلني، لا، لا تؤلني، لا تكذب، أليس كأن ثمة شيء فوق قلبك؟ كذب، قرأت في مكان موثوق، أو أن أحدهم قالها، أو أنها ظلت في عقلي هكذا لا يوجد ثمة شيء على قلبي، الوحدة، الوحدة رائعة، ليست

رائعة، مر الحنظل، وما هي مرارة الحنظل أيضاً؟!

جعلت أحدهم يحضر لي الفطائر الساخنة، لو كان هو لأكلها الآن، لا أعرف كيف يأكل الطعام، ياقة معطفه من فراء الماشية، وهناك أثر دمل قديم في خده، ولديه بشرة شاحبة سمراء كأن الدم لا يجري أسفل جلده، شعره أسود، وعيناه أيضاً، فماذا يُتَظَر منهم إن لم يكونوا سوداً؟ فأنا أحب السواد الهادئ واللون الشاحب الحاد كأن الدماء لا تجري من تحته فقط فيك، فلا أحبه في غيرك.

جعلت أحدهم يحضر لي الفطائر الساخنة، ونظرت إلى النجوم، ها هي، أيوجد نجوم في الحانة! نظرت إلى النجوم، وهمت في السينما، بالأمس كان يمر من هذا الشارع ركضاً، وكانت الساعة الخامسة إلا الربع، ودخل السينما ركضاً، ظلت أنظر خلفه، ولم أستطع الولوج، فهو يُحدث جلبه ولا يتحدث لم يتفوه بكلمة، وحينها حينها أخذت أتعرق كأنني دخلت إلى مكان يخرج منه البخار بكثافة، وبعدها أمطرت ثلجاً فوقني، يهطل الثلج محدثاً صوتاً خافتاً، ثلج يتساقط قطرة قطرة، أفكر في المسدسات، والسكاكين، لا أحب السكاكين، المسدسات فثمة ثقب في عقلنا وحوله سواد ثقب غريب، سال الدم ببطءٍ، وسد ثقب العقل سريعاً فخرج سائل كالصديد.

وماذا بعد ذلك، ذلك هو الثقب الذي في رأسي، أيجب أن يفتحه؟ يجب أن يفتحه، فكيف يمكن التخلص من الوحدة؟ أفقط الموت؟ لا اثنان موتى بين الناس، بين ملايين، ثلاثة موتى، أربعة، خمسة، دعك وعد الموتى! هذا هو الكأس الخامس، دعك أيضاً وهذه الحانة، وما خارج الزجاج، فلن يأتي، كنا في السينما، فأخذ الرجل الذي خرج من الشقة الطائرة مصباحاً صغيراً، وخرج إلى الشارع ومن خلفه طفل. ينتظر الشقة الطائرة حارسان، وأمامها إنسان آلي.

لم يستطع ذو المعطف الفراء الخروج ومازال الفراء بارداً، فوضع يده على خده ذي أثر الدم، شفتي الفراء تقبله، فارتعد وتذكرني، اهتز، وكان على الطاولة نموذجاً لبحار من الجبس فزت به في مدينة أوروبية بعيدة في ساحة احتفال وضعت النقود تحته.

- أأعطاك البحار نقودك؟

- أعطاني، شكرًا للبحار.

- شكرًا للبحار!

كنت استغرق في النوم العميق في أيام الصيف عندما يتمدد جواربي، ولم أكن أرى شيئاً في حلمي، أي شيء، أوجد أجمل من

لا شىء؟ وإن كان أعطني لقمة! فى ذلك الوقت لا يوجد أفضل من الموت.

قفز رجل أتى من نجم آخر من سيارة الأجرة ومن خلفه الجيش كله ومعه أمر بإطلاق النار؛ فأطلقوا النار والتفّ الجنود حوله.

جننت عندما تأخر، وغضبت عندما أصبحت أصوات الأقدام على السلم غريبة فجأة ومن بعدها أصوات أقدامه، كنت قد تركت الباب مفتوحًا، فكأنه أتى من كوكبٍ آخر، كنت أقبله من عينيه.

لا بد أن يخرج، لا بد أن يخرج من هنا، انتهت السينما، لا بد أن أسير وسط الشارع وفوق ظهري حظي، وفوق ظهري نفسي، ولا بد أن أدخل الحي، وأرى المنازل، وأرى النوافذ المُضاءة بأنوار خافتة منتصف الليل، لا بد أن أطيل النظر إلى منزل رقم اثنين جالسًا على الردم إلى أن يظهر الحارس، هناك أواني زرع فى الشرفات بالأعلى فوقها خراب ومن تحتها أيضًا، ووسطها رائع فى أي خراب يكون، لا بد أن تُضاء الأنوار، كنت أمر بتؤدةٍ من ممر.

- "هنالك لص! هنالك لص!"

لا بد أن يركض في الشوارع، لا بد أن يركض، الحراس والشرطة والصفارات من خلفي، لا لم يسمع أحد فأفتح باب غرفة صغيرة، فإذا به داخل سرير خرب وقدمه بالخارج، بل قدميه بالخارج وضعت قدميه داخل اللحاف، فكان يأخذ نفساً عميقاً، وأدار ظهره لي، فنظرت، أثر الدملى في الجانب الآخر، وهناك احمرار جميل في وجهه الشاحب بحدةٍ وغرابةٍ، حواجه رطبة، وشفته جافتان كاد المصباح ينطفأ، ومريم ترتعش، من في هذا السرير الصغير؟ انحنيت لأنظر، لديها عينان واسعتان، وبشرة غاضبة، فلا تستطيع الصراخ.

قلت: اصمتِ، اصمتِ.

وضعت يدي على فمها، فاهتزت.

فقلت: أنزع يدي إن لن تحدثي ضوضاء.

تفتح عينيها السوداء وتغلقها، نزع يدي من فمها، وبعدها ذهبت وجلست على السرير الآخر، وهو مازال نائماً أجول بعيني حوله، المعطف ذو الياقة الفراء هناك، فارتديه، ألتجول في الغرفة ومعصاي خارج المعطف، والفتاة الصغيرة تنظر إليّ، تضحك واضعة يدها على فمها، فأنهض من فوق الأنقاض وأخرج إلى الشارع، فلا يوجد سوى السكرارى في الشوارع والقوادين، وهذا، وذاك، جميعهم سعداء، جميعهم يحملون

حظوظهم وأنفسهم على ظهورهم، وحيدون، وحيدون، وإن كانوا نائمين بجوار أزواجهم، ليتني أجد مكانًا مفتوحًا، ليتني أشرب الخمر أكثر، لا جميع الأماكن مغلقة، وهو مازال نائمًا، وحواجه رطبة، لن أضع وجهي أمام أنفاسه، فسبحت واحدة من الوسادتين من تحت رأسه ووضعتها عند قدميه، والتفت هناك ونمت، فتورمت يداي، وتورمت، وتورمت.

أفعى في ألما داغ

أخذ الثلج يهطل قبل أن أدخل المسرح، وعندما خرجت وجدت الساحة بيضاء ناصعة، سقطت قطرة داخل رقبتني، فارتعشت.

صرخت قائلاً: "انزع يدك من فمك، ولا تأكل ظفرك"، التفت اثنان يسيران أمامي ونظرًا، فهذه من خطواتهما ليرا وجهي، أشعر بالوحدة كأنني كنت معه كل مساء، فكان يأتي أيام الجمعة مساءً، وكان تمثال البحار الذي يحمل في فمه غليون التبغ ينتظره، كانت الشمس ترسم رقم ثلاثة على الستارة المصنوع من المشمع، وعندما كنت انتظره في الأيام التي كنت متيقن أنه سيأتي فيها كنت استغرق في النوم، وكيف أنني داخل الحلم كنت أسمع طرقه للباب الذي يشبه الخدش، فانطلق من الفراش وافتح الباب، لونه ممتقع، يتنفس من فمه، يأخذ سيجارة من فوق الطاولة ويشعلها.

كان العالم هناك فيوجد هنا خزانة ذات أدراج، ومرآة، وبحار من الجبس، وسرير، ومرآة أخرى، وهاتف، وكرسى، وكتب،

٤٠ ~~~~~ أفعى في «ألما داغ»

ومجلات، وأعواد ثقاب، وأعقاب السجائر، ومدفأة، وبطانية، كان العالم هناك، هناك طائرات في السماء وبدخلهم مسافرون، والقطارات قد ذهبت، أحدهم يمضي، والآخر يدفع النقود، هبت نسائم الليل، فخرج سميّط المساء للعالم.

دوي صوت بائع السميّط في الغرفة، كان العالم هناك.

يثقب بائع التذاكر التذاكر، ويقرأ رجل وطفل جريدة، وشاب ذو حواجب سوداء طويل القامة متمدد شاب وسيم وقوي، ورقد على يميني شخص رفيع واضعاً يديه في جيوب بنطاله، وترك الطفل الجريدة، وطوي معطفه تحت رأسه وتمدد هو الآخر، وكنت في غرفة الباخرة السفلية.

كان اليوم يوم الجمعة، والمدرسة في عطلة، فكنا نجلس في شارع مسجد الكرز بالسليمانية، وكان عمري سبعة عشر، أتذكر شجرة الصنوبر لنزل منير باشا، ربما شجرة الصنوبر الضخمة الموجودة في حديقة المدرسة الثانوية احترقت في أحد الحرائق، وكذلك أسقف نزل منير باشا المطلية بدهانات زيتيه أصبحت دخاناً ورماداً منذ زمن، واحترق بق الفراش أيضاً، واحترق سريري ولحافي حتى دموعي، واحترقت الأحواض، واحترقت الأشجار التي لا تسقط أوراقها خريفان الذكريات احترقت الذكريات احترقت يا ولدي احترقت، والكتب التي أتت بي

إلى اليوم احترقت. لا بد أن أجدفاء تقليدي من جلد الغنم لأخيطه في معطفي.

كان يوم السبت، ومجدداً أنا في غرفة الباخرة السفلية، ومجدداً الطقس مثلج، ومجدداً إسطنبول قبيحة، هل إسطنبول؟ إسطنبول مدينة قبيحة، مدينة قذرة، ولا سيما في الأيام الممطرة، وهل جميلة باقي الأيام؟! لا ليست جميلة، ففي الأيام الأخرى يصبح الجسر به نخامة، والشوارع الجانبية موحلة، وبها حطام، والأمسيات ممتلئة بالقبي، وأدارت البيوت ظهرها للشمس، والشوارع ضيقة، وتجارها غلاظ، وأغنيائهم غير مكثرين، فالناس كذلك في كل مكان؛ حتى النائمون أزواجاً على أسرة مذهبة يشعرون بالوحدة.

الوحدة تملأ العالم، الحب، يبدأ كل شيء بحب أحدهم، ولكن هنا ينتهي كل شيء بحب أحدهم أيضاً.

مكان جميل، ألما داغ مكان جميل، حيث الأشجار التي طولها خمسة عشر متراً في هذه الساعة وحي طاش ديلين وأفعتها أيضاً، لكن في الشتاء الأفاعي في جحورها، وليكن، فطقس ألما داغ معتدل، وأشرق الشمس بين الأشجار ذات الأوراق الحمراء، فتَهْطَل أشياء معتدلة من السماء وتتجمع فوق الأوراق الذابلة، وتتقطر طاش ديلين كالإصبع، الكأس الذي يلمع أحرقنا من

الداخل في البداية ثم تعرى كلياً وأحرقنا من الخارج، أتى أرنب وأفعى وطائر الشحرور وحجل من بولونيزكوي فارين إلينا ليشربوا الماء، ونحن نلعب مع ماعز.

عندما ناديت قائلاً: "بانكو، بانكو!"، ثبتت الأفعى والماعز والحجل والأرنب في أماكنهم كأنهم تحجروا، وامتقع لونهم، فأخرجت سكينه حادة من جيبي وجرحت أذن أحدهم وجناح آخر، وعندما تقطر الدم بدأوا يتحركون وتركوني وركضوا إلى بانكو، ظهر بانكو بابتسامه، وكذلك جرح الدم الذي في وجهه الشاحب ذي الملامح الحادة كعادته، ويقبل طيور الحجل من مناقيرها، ويسحب الأرانب من شواربها، ويلف الأفعى على خصره، أحضر كرة، كرة قدم، أنا حارس مرمى، والأفعى أيضاً حارس، والبقية نائمون على الأوراق، يلعبون تحت الشمس، يلعبون لساعات وعندما تسكن الكرة شباكنا أنا والأفعى ننسحب جانباً ونشاهد، فنفسد اللعبة.

ألما داغ جميلة، ألما داغ، إسطنبول في الوحل، سائقو الأجرة يرشون تجمعات المياه على الناس عناداً وتمطر ثلجاً عناداً فينا. ألقت أحدهن قطعة من الدور الخامس، وإذ بامرأة ورجل أجنبي عند القطعة، وتنزف القطعة دمًا من أنفها قال الرجل بالفرنسية: "ماتت بسبب النزيف المسكينة".

وقالت لى المرأة بالتركية أن القطة أُلقيت من الطابق الخامس،
نزىح الآن القطة الميتة بجانب الجدار السميكة المرتفع لحديقة
مدرسة غلاطة سراي، والمرأة فى الطابق الثالث تلقي الفحم فى
المدفأة، فكم كان الطقس بارداً، ليت الثلج يهطل فعندما يهطل
الثلج يصبح الطقس معتدلاً بعض الشيء.

متى عاد بانكو من ألما داغ! مرّ من جانبي مع صديقه فجأة
كانه مر بجوار جدار أو قطة ميتة، فاصطدمت أكتافنا خفيفاً
وانفتحت الجدران، الناس التي ضاقت ذرعاً من بعضها بعض،
لسنوات شعروا بالشعور نفسه فجأة قبلوا بعضهم كأنهم
يتصالحون قائلين: "هذا يكفي"، أعود وما زال بانكو يذهب
مع صديقه باسم، ركدت المياه الخضراء العكرة فى حوض نزل
منير باشا الذي تفحم فى الحريق فلم يكن يظهر ما فى أعماق
المياه، لكن عندما أغمض عيني كنت أرى أن هناك عشرة
قروش ملقاة تلمع، فذات يوم ألقينا صديقنا الذي أصبح
حاكماً فيما بعد فى الماء بملابسه بعد أن أعطيناه خمسون قرشاً.

لم أكن أعرف المقهى التي دخلها بانكو مع صاحبه، وكان
ذلك المقهى فى الطابق الأول لمبنى بين عمارتين مفتوحتين على
مصراعيهما؛ حيث يوجد عند بابها بائع أدوات معدنية يبيع قدور
من الألومنيوم، وأكواب من النايلون، عندما رأيتها يدخلان

٤٤ ~~~~~ أفعى في «ألما داغ»

من هذا الباب قلقت، فدخلت أنا أيضاً ونظرت؛ فإذا بباب من الزجاج أمامي ومن خلف الباب الزجاجي بهو كبير، وهناك أناس يلعبون الطاولة وألعاب الورق، ويوجد في زاوية أخرى طاولة بلياردو، عندما دخلت نظر الجميع إليّ؛ ولأن رواد المقهى لا بد أن يكونوا هم أنفسهم دائماً، رمقوني من رأسي لأخص قدمي، حينئذ سيكون الجلوس وشرب القهوة بمثابة عذاب جهنم فتظاهرت بأنني أبحث عن أحدهم، أموجود السيد لوقا؟ عامل البناء، الدهان، كنت سأسأل عنه، فهو يرتدي نظارة وله عرق يوناني، لكنه أرناؤوطي، أردت أن أسأل بائع القهوة عنه، ونظرت فوجدت بانكويداري السيد لوقا محاولاً ألا يظهره لي، فنظر إليّ كأنه فطن لكوني جئت من أجل شخص أعرفه مسبقاً كان يبدو مبتسماً، قلت: "جازاه الله ذلك الديوث"، التفت، عندما كنت ذاهباً التفت مرة أخرى لأنظر فرأيت مجدداً صاحب المعطف ذي ياقة من الفراء.

عندما رأيت الفراء استرحت فتذكرت الأرنب، وطائر الحجل، والأفعى الملساء الجميلة جداً، وطائر الشحرور، وألما داغ، ومياه طاش ديلين، والأوراق الذابلة، والشمس التي كانت تتساقط على الأوراق مثل حبات المطر.

حلم بانكو

كانت تدور أشياء غريبة داخل المنزل، وكانت الأصوات، والنداءات، وأوقات الطعام، حتى الوجوه كما هي دائماً ولو في مظهرها فليت أماكن الأمتعة كلها تغيرت، وانقطعت الأصوات، وتغيرت أوقات الطعام، وليت لا يوجد الهواء الذي يخالف كون كل شيء على ما يرام دائماً، فيتوقع المرء حينها أن يضع الطاولات، والكؤوس، والكراسي في أماكنها، لا، فكل شيء في مكانه، ويستيقظ أخى الصغير كل يوم في الوقت نفسه، ويغلي الشاي في الدقيقة ذاتها، وتنبعث رائحة الخبز الذي سيوضع في أواني الصغير إلى أنفه وهو على السرير، والصغير جالس أمام المدفأة وكان صباحاً هادئاً مطمئناً متواضعاً كالمعتاد، فقال أبى: "لابد أن ينهض بهدوء ويرتدي ملابسه".

وعندما تمر أربعة دقائق على الثامنة والنصف في الساعة الموجودة فوق الخزانة تناديني أمى: "هيا يا بانكو، يستعد والدك". وأنا أتذمر كالمعتاد، وألثفت يميناً ويساراً، عيناى جاحظتان أفكر في هذا وذاك وصديق لى، والعطلة، وذهابى إلى السينما مساءً.

فخرج والدي هذه المرة وقال: "بانكو، بانكو الحمار! بانكو الكسول! ستتأخر".

سأذكر دائماً صداقة كلمتي الحمار وكسول لي.

عندي واحد وعشرون عامًا، وأبي أربعون، كأننا أخوان فأحيانًا يبدو أصغر مني، أبي نجار، وأنا كهربائي ونقيم في شارع موحل بحي باي أو غلوف، وبمجرد أن أنهى عملي في الأمسيات أركض إلى المقهى فألعب القمار، وأبي يعلم ولا يكثرث إن كان يومًا في الأسبوع فلا بأس، بعدها أعمل كالنار، لكن صباحًا لا أستطيع أن استيقظ هكذا أبدًا، فنصبح عاطلين أحيانًا، ويستمر هذا الشهور، فتأتي أنت لنجدي.

أنت من تشترى كتاب الصغير وكراسته، الساعة التي في معصمي خاصتك، ومدين لك أيضًا بذلك القميص.

الخمسة وثلاثون قرشًا التي تعطيها لي، تصبح خمسة وثلاثون ليرة في القمار، فأعطيهم ما ذكرته وأخذ النقود، ويعمل أبي في بعض الدكاكين التي يعرفها مقابل خمسة، أو عشرة قروش، أنهض عندما تدق الساعة العاشرة إلى المقهى وأبي يعلم هذا، لكنه لا ينطق، لكن الغريب هو ارتسام خط عميق بين حاجبيه للغنى أكثر مما كان عليه وهو يعمل، لكنه ذات يوم لم يعد يغني لي الأغنية التي أحبها كثيرًا.

معًا للأبد،

سنتقابل مجددًا،

معًا للأبد..^(١)

أتظن أن أجواء المنزل تتغير في مثل هذه الأيام؟! لا، ربما يخيم صمت خفيف على المنزل، يخيم، ولكن أنا أذهب، صمت أهل البيت لأنني سعيدٌ ومسرورٌ جدًّا، أعود متأخرًا ليلاً، ونذهب معك إلى المسارح، وأتأخر في لعب الألعاب الورقية، لكن يتأخر الوقت مهما يتأخر، عندما أعود إلى المنزل وبمجرد أن أدخل في أجواء تولدت من المواعد المطفأة، وأنفاس أبي وأمي وأخي الصغير فالعالم ملكي، وأعط في نوم عميق مفكرًا فيك قليلًا قبل أن أنام، فأنت بخير، وسعيد، لكن لديك ما يغضبني، ولا أعرف ما هو، رأيت حلمًا الأسبوع الماضي، يمشي رجلان في الطريق أحدهم شبهته بك، وركضت لأرى ترى من بجواره! كم هذا غريب ألم أكن أنا من بجواره!

قلت بعيني: إلى أين تذهبان؟

فلم تجب، ففكرت هل أنا سأكون شخص مختلف عني، وهل هذا ممكن في الحلم فقط، أردت قول كلمات، لكن قال من معك الذي هو أنا: وما شأنك، لنذهب أينما نذهب.

أردت أن أجيب على الرغم من أن أنا المنفصل عني يمكنه التحدث وأنا لا يمكنني، فأيقنت أنني في حلم داخل حلم، أجبرت نفسي، وفي النهاية يبدو أنني تمكنت من الصراخ، فقال أخي الصغير: ماذا بك يا أخي، ترى لماذا صرخت فأنا قلق بشأنك!

قلت: ماذا قلت، ماذا قلت يا قلوبوي؟

قال: لم يكن مفهوماً يا أخي.

صباح هذا اليوم على الرغم من أن كل شيء في المنزل كان على ما يرام، الأصوات والأحاديث نفسها إلا أنه تغير شيء فجأة، وهو أنني أحببت كل شيء أكثر ونزع فجأة الخوف المفرع والقلق من داخلي، رتبت لوازمي المبعثرة في الغرفة وكل أشياءي، وجلست عند الموقد في الساعة الثامنة إلا الربع وما زال أبي لم ينهض، فرحت أومي وأخي الصغير لنهوضي مبكراً.

قالا: أوجدت عملاً يا بانكو؟

أجبت: لا.

- فلماذا استيقظت مبكراً إذا؟

تظاهرت بالضجر: إن أردتما أذهب لأنام مجدداً.

التفا بالقطع المتدلية من بيجامتي الرثة، وأجلسوني كرهاً، وأعطوني كوب من الشاي، وشريحة خبز محمر، وعلبه جبنه بيضاء.

قال أخى لأمى: صرخ أخى بالأمس.

أجابت أمى: أصرخ، لماذا صرخ؟

فقال أخى الصغىر: لم أفهم، لكنه صرخ كثرًا.

دخل أبى، فكم كان أبى رجلاً صالحًا، سعيدًا، خلًا، وصديقًا.

قال: أووه، استيقظت مبكرًا اليوم، وبحث فى جيبه ثم قال
نسيت علبتى أعلى، أحضرها سريعًا.

ذهبت ركضًا، فأحضرت من جيبى ما تبقى من السجائر
الجميلة التى أعطيتها أنت لى.

فقال أبى: يا إلهى! من أين أتيت بهذه السجائر الرائعة؟

أجبتة: أعطها لى صديقى.

قال: ها، ستأتى معى اليوم، سأصلح سلم قبو، كهرباء
المحطبة تعطلت ستصلحها.

فخرجنا معًا، فقابلتك فى الطريق، إلى أين أنت ذاهب مبكرًا
هكذا! نظرت باندهاش حتى ابتعدت فابتسمت أنا.

سألنى أبى: لماذا تبسم؟

أجبتة: لا شيء.

فى حين أننى كنت أفكر فىك، كنتُ مثلك تمامًا فى الحلم

الذي رأيته أمس، لكن هناك فرق واحد، لم تستطع أن تركض وتقول لي بعينك: إلى أين تذهب، خذني!

عندما خرجت من العمل خطرت ببالي عندما ركضت إلى المقهى وجلست لألعب الألعاب الورقية فابتسمت مجدداً.

عدت إلى المنزل مبكراً هذا المساء، حمّرت أُمي السمك، وتناولت الأسقمري^(١)، وأشترى أبي زجاجة بيرة، فشربت كأساً، سُلقت أُمي البطاطس منذ الصباح، فبردت كالثلج، فأكلتها أيضاً، ورقدت أمام المدفأة، وأخذت كتاب أخي الصغير، واستغرقت في القراءة دون أن أفهم، لكنني كنت سعيداً وأنتَ من منحتني هذه السعادة، فأحببت كل شيء ضعفين أو ثلاثة وكنتَ أنتَ السبب أنتَ، لكن مجدداً أنتَ أكثر سيئ الحظ في الأمر، أثق بك، وتروق لي صداقتك، وكنت أضحك عليك لدرجة أنني لم أستطع التوقف، فلم أرى الحلم في نومي مجدداً ولا أمام الموقد ولا بعدها في سريرى.

بمجرد أن استيقظت صباحاً كنتَ بخاطري، فابتسمت، ونهضت، وجئت لأخبرك فما رأيك؟



تمثال مليحة

كانت امرأة جميلة ذات وجه شاحب، وفي جانب عينيها الفاتحة إلى حد الاصفرار اللامعة تعبير صاحب، وصديق حميم، وكنت انظر مفتحاً عيناى إلى الوجه الذي يروق لي دائماً والسبب وراء عدم مقدرتى في فتح الموضوع الذي أريد هي نظرة المرأة المؤلمة قلت: "آه، هذه عيناى!"، كنت أظن أنني سأحدث ببضع الكلمات القاسية لعينى. كنت سأقول: "أنتظرون كالمجانين لكل وجه يروق لكم!"، فالأشخاص الجميلة يثيرون شفقتى ليس تجاههم لكن على نفسى؛ حتى أنهم ينزعجون لنظراتى، أدير ت مفاتيح أخرى فى رأسى، فأضاءت أنوار أخرى وشعرت أنني عدت إلى الورا، كنت أدور بسرعة فاستحضرت أمام عينى صورة بلدتى التى قضيت فيها جزء من شبابى.

كان أحد أصدقائى المقربين ابناً لأحد العائلات المرموقة فى القرية فدرس فى مدارس أجنبية لسنوات، وتعلم اللغة، وتعلم كيف يرتدى، ويعيش، ويتحدث، وعاد الآن إلى القرية، انغلق على متجره بسوق الفحم، وفى السابق هبّت رياح الاحتلال،

حاول القفز بغية الإفلات من جبل مُقيّد يُدعى الأسرة، لكنه لم يستطع، سمن آخر سنتين في مكتب، واستمر في النوم، ولا أعرف أكان سيصبح حاله أفضل إن لم تكن الأشولة تأتي من هنا وتذهب هناك، ولم تعرف أسرته ماذا تفعل لتنشيط الشاب الذي أخذ يثقل يومًا بعد يوم وينغلق على نفسه ويسمن فاسودت الحياة في عينيه؟ تُرسل الأشولة إلى إسطنبول؛ وتأتي من إسطنبول - هذا كل ما أفهمه في التجارة، ولم يكن صديقي أكثر مني - كان يملأ الخزانة بالنقود، لكن الشاب نسى ما يمكنه فعله بالنقود، والأب التاجر الذي علم أن شرب ثلاثة كؤوس من الراقي في الأسبوع لا يمكنها أن توقظه من نومه العميق هل رأي ذلك في الحلم، أم أنه استشار الأطباء، أم أن كبار العائلة عقدوا جلسة خفية ليتشاوروا فيما بينهم؟ فماذا حدث هنا؟ مجددًا لا أعرف؛ ولأنه لا يوجد في هذه الأسرة شخص بملكه أن يهتدي إلى هذه الفكرة بمفرده، فلا يتم التفكير في هذا البيت؛ يُأكل، ويُشرب، وتحسب المصاريف، ويُخلد إلى النوم، والفكرة التي اهتموا إليها هي زواج الولد، تخيل أنتَ مكتب وليكن زواجه مغبرًا والذباب قد لوّث دفاتر، وبقعة الخبر على طرف دفتر الخزانة قد مرّ عليها اثنا عشرة عامًا؛ كي يتحول زجاج المكتب السميكة إلى زجاج مزخرف من الغبار، لم تُقطع أوراق النتيجة منذ سبعة أشهر

ونصف، لقد ترك كل شيء بخلاف الدفاتر الجلدية السوداء فوق خزانة هذا المكتب، وماكينة النسخ الموجودة بجوارهم، وخزانة الدفاتر التي تسقط فجأة من حين للآخر محدثة جلبه، والنقود للغفو صيفاً، وكذلك المقاعد الشاحبة في أماكن الجلوس على الكراسي، ومقعدٌ نسي أنه يدور حول محوره، نعم فلا شيء ولا حتى فكرة الزواج تمكنت من إيقاظ صديقي من سُباته الذي تحول إلى مقعد، وكُرسي، ودفتر خزانة، فقد فكر ذات مرة فراق له التفكير، تخيل بسرعة امرأة، وحذاء، وبيجامة، ومسحوق تجميل، وعطر اللافندر فتألم قليلاً لدرجة أنه عندما فكر قائلاً: "إن تزوجت فماذا سأفعل؟"، ذهب سريعاً هذا الألم، جيد أنه ذهب سريعاً، وترك مكانه للخوف، وعندما شعر بالخوف ظل يفكر ولا يخطر ببالك عند النظر إلى قولي أنه ظل يفكر مدى تأثير ووحشية شيء يُدعى التفكير، فقال: "إن تزوجت ماذا سأفعل؟"، وغطَّ في نوم مُثَبِّتاً ناظره على الزجاج الملوّث، يا إلهي، كم كان هذا نومًا هنيئًا دون أحلام! أيقظته حشرة من نومه لم تكن دخلت إلى المكتب حتى وقتها، كان هذا دبورًا، استيقظ بعدما سمع ضوضاء طائرة نفاثة كبيرة داخل المكتب الصغير، وكان الدبور الذي يبحث عن ثقب للخروج كالمجنون، والأدق كأنه طائرة يقودها طيار مجنون، وبعدها أُرهِق عينيه الناعسة من تعقبه، فكر في إنه لا يمكنه تحريك يده دون

أن يفكر أنه أكبر مليار مرة من الدبور خاصتنا فخيئت على رأسه فكرة: "إن تزوجت ماذا سأفعل؟"، فكر ثمانية وعشرين يومًا، فلما ليس تسعة وعشرين يومًا؟ شهدت أنه فكر فى هذا الأمر طوال شهر فبراير وعندما علم أنه لن يتوصل إلى حل بالتفكير عزم على تجربة ما سيفعله وكانت النتيجة سيئة جدًا، فقد علم أنه عندما يتزوج لن يتمكن من ارتداء حذائه، أوصيته بالإقلال من تناول الطعام، فعمل بنصيحتي، وبانتهاء شهرين وحرق الدهون فى جسده السمين فقد اثنى عشر كيلو، مجددًا لا يوجد عمل! قصد طريق أغنياء القرية شكى إلى الطبيب الذي يذهب إلى هناك فوصف إليه الطبيب (إسطنبول) للتخلص من هممه، إسطنبول هي مدينة الشفاء فذهب إلى البارات، والحانات، والمطاعم، والشواطئ هناك، لا، لو كان تزوج لم يكن يستطع ارتداء حذائه، وكأن قراره بتسليم نفسه للأطباء إلى جهاز التدليك الكهربائي أحزنه قليلًا، وقد نسي إليه شيء يدعى الحزن، لكنه لم يعد قادرًا على تناول الطعام كالسابق وعندما فهم بما لا يدع مجالًا للشك إنه عندما يتزوج لن يتمكن من ارتداء حذائه، سمن مجددًا فى إسطنبول، وعندما سمن كأن حزنه ملأ قرص مسدسه الدوار، وبدأ اضطراب فى رأسه، وماذا يعنى العمل على كبج هذا الاضطراب بالخممر، والراقي، والأرق وأنت تعلم فذاك بمثابة وضع البنزين بجوار

النار، فقد أنفق أموالاً طائلة، ولم تحذره أسرته من أي تضحية قام بها، ييث همه لكل من يأتي أمامه، أطلعت العاهرات، والأصدقاء، والأطباء على هم الغلام هباءً!

صادف مليحة ذات يوم مساء في أحد البارات، هذه هي مليحة التي رأيتها في الشارع منذ قليل، بث إليها همه أيضاً، ولكن لم يغدق عليها المال، أحبت مليحة في نهاية أسبوع غلامنا بعدما انتقل من النحافة إلى السمنة، ومن السمنة إلى النحافة، من السكون إلى النشاط، ومن النشاط إلى الكسل وتعلقت بذلك الوجه الحزين الجميل، وعندما شكي همه إلي مليحة قالت له: "سأنقذك من هذا الهم"، وكان صديقي وعدّها وعقد الإيمان أنه إن نجا من هذا الهم سيتزوجها، فتبتسم مليحة لهذه الوعود، وكانت تقول: "لا عليك عزيزي!".

عاشا معاً سنة ونصف، وارتدى صديقي حذائه بعد عدة شهور، لا بد أن يسأل عن مليحة، لكنه بعد عام ونصف أصبح شاباً كجميع الشباب.

في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٠ في أولى سنوات الحرب، وفي فندق بارك عقد قران ابن أحد أعيان المدينة السيد ج، ح على ابنة الطبيب الجراح ح، أو.

و تُركت مللحة اللى رأيتها ولم أستطع التعرف عليها، والآن
أرى كثيراً فى هذه الأيام مللحة فتاة البار اللى تُركت كاللقطية
بعد كل الخير الذى فعلته ومعها طفل سمين، كلما رأيتها
أعلم أنها أساس سعادة بعض الأسر، وأتعجب لماذا لم ينصب
صديقى تمثالاً للملحة من البرونز أمام بيته ذى الشرفة الواسعة
فى حينما الذى به ثلاثة أو أربعة ملايين شخص؟

الحرفي يني

عندما تعرفت على الحرفي يني كان عندي خمسة عشر عاماً
وحينها لم يكن بعد الحرفي يني، فكان طفلاً عيناه سوداء،
وساقيه، وشعره أيضاً.

هل أنا؟ أكنت رجلاً كبيراً، كم أود أن أكذب، كنت هزياً،
ولم يكن لدي أحد في العالم، كان لدي أمي وحسب، ولم يكن لي
أحد غير هذا الحرفي يني الذي يبلغ من العمر عشرين عاماً
الآن، أشرفت على الخمسين، ولكن يني هو صديقي الوحيد
يدهن الجدار بدهانات زيتية، فيدهشنا، فما زال في عيني ذلك
الولد الأسود الذي يبلغ من العمر خمسة عشر يذهب إلى السينما،
والمباريات، ويلعب ألعاب الورق في المقهى عندما لا يدهن الحوائط.
وعندما يخطر بباله يأتي إلي ويجدني أينما كنت وإن لم أقرر لا
يتصل أيضاً فيقول: "لماذا أتصل بك يا أخي؟".

لدينا حانة منعزلة، أذهب وأجلس استمر في التفكير، ماذا
فعلت في هذه الدنيا؟ ماذا رأيت؟ إلى أين وصلت؟ وإلى ما
آلت الأمور؟ ماذا جنيت؟

وعندما تتلج في الخارج أبرد في الحانة وإن كانت دافئة، فلا يوجد أحد حتى في الساعة السادسة، مرّ النادل إلى القاعة المقابلة ليضبط ساعة الحائط ويجبر شخصاً على الشرب، هل أنتظر الحرفي يني؟ إن انتظرته لن يأتي، أيأتي إن لم أنتظره؟ هناك أمل، فهناك أمل عندما لا نتظر.

أتى ومرّ من أمامي، ماذا أقول له؟ وماذا قال لي؟ فلا أذكر ثمة شيء أتبعته؛ لأنه طلب هذا.

بالحانة زبائنُها المعتادون، وكان أحدهم أتى وجلس بجوار الزجاج وجعل النادل يفتح له زجاجة مياه معدنية، ويسكب داخلها الراقي، وجلب له طبق فاكهة، وشوى له الكلاوي، وكان يتناول بيض الأومليت أحياناً.

أتى الحرفي يني مقطب الحاجبين، سيعطيه والد الفتاة مهرًا خمسة آلاف ليرة^(١) وكانت الفتاة جميلة كان يعرفها منذ زمن وراها في حفلة موسيقية، هذه المرة قالت أم الفتاة: "أرقص يا يني!". قال يني: "أنا لا أجيد الرقص وهذه الأمور، ولو أعرف لن أرقص"، أظهرت السيدة سخاءً بشكل واضح.

قال يني: تحدثني مع أبي.

(١) -المهر: تعطيه العروس المسيحية إلى العريس قديماً.

يعني أن الحرفي يني لن يأتي إلى الحانة لشرب كأسين من البيرة معي فهو يقول: "أن المرء لا بد ألا يظهر في الحانات أحياناً"، وأتضح أن وراء هذا خمسة آلاف ليرة.

يا للأسف يا يني! قلت لك مساء أمس كنت ولدًا صغيرًا أسودًا ونحيفًا، انظر كيف أصبحت رجلاً كبيرًا! وأصبحت أنا جدًا، فالحانة هي الحانة، والطاولات نفسها، لكن الدنيا اختلفت، فأنت رجل آخر، لكن مازلتُ أنا كما أنا يا يني! أراك دائماً الحرفي يني ذي الشعر الأسود، والعيون السوداء وولدًا كالجن، فكنا نذهب إلى السينما معًا، فكنت تجن جوارى، وتصفق، وتضر بني على كتفي وتقول: "يا إلهي، أرايتَ يا رجل، انظر إلى المحقق! ماذا فعل أرايتَ؟ لقد لكمة".

لم يكن في مكانه في السينما، ولكنه كان في مرايا السينما، وفي أيام المطر كانت رائحة القماش والناس تفوح في كل مكان، وعندما كنا نختلط مع الأطفال في المقعد الأول تغمرني الفرحة، فكل الوجوه باسمه وكل الأطفال سمحة وكل الأيدي قاسية، صغيرة، ومنتسخة، ودافئة.

- مرت الأيام سقطت، وانكسر كأس الشرب، وأصبحت أنت رجلاً كبيراً بقدر أنك ستحصل على مهر من العروس خمسة آلاف ليرة، أحب الفتاة يا يني؟

- أليست زوجة يا أخي، فنحن أيضاً نحب.
- صحيح يا يني، فالنساء تُحب، لكنني أحب الأطفال أكثر من النساء؛ لأنني ظلت دائماً طفلاً.
- سأل يني: ألا تحبني؟
- أنت؟ وهل يُسأل سؤال كهذا؟ أنت؟ أحبك كثيراً.
- لكنني لم أعد طفلاً بعد الآن.
- أنت طفل في عيني.
- إن اعتبرتنني طفلاً أغضب منك، واستاء، ولن أتحدث معك مجدداً.
- ألن تدعوني إلى زفافك يا يني؟
- سأدعوك.
- صمتنا أنا والحرفي يني فترة، وبعدها لا أعرف ماذا دار في ذهنه فقال: "تذهب إلى المسارح أو ما شابه خذني معك مساء!".
- متى تريد أن تأتي معي؟
- اتفقنا على مساء الإثنين، فمررت على شباك التذاكر مبكراً، واشتريت التذاكر فذهبت وتزين الحرفي يني وأتى، ولكن من أجل تذاكر مساء الغد، لا يوجد عروض مساء الإثنين.

فقلت: ينى لا يوجد عروض أيام الإثنين؛ اشترى تذاكر لمساء غد.
أجابنى: لا يوجد مشكلة؛ أعطنى تذكرتى.

شرب كل منا أربعة كؤوس من البيرة، وافترقنا، وفى مساء
اليوم التالى ذهبت إلى المسرح الثامنة والنصف ومازال لم يأتِ
بعد، وعندما قُرع جرس انسداد الستائر أتى أحد غيره
وجلس جوارى.

- باع الحرفى ينى تذكرته لى، ولم يأتِ إلى المسرح.

أنهى الحرفى ينى تعامله الطفولى معى، راق لى هذا، واندھشت،
لكن شعرت بوحدة على الرغم أنني دائماً ما كنت أتابع المسرح
مفردي، واستمتع، فكننت انتقى الليالى الهادئة، وصعدت إلى
شرفات المسرح لن أشاهد غالباً أسوأ من هذا العرض ذاك المساء.

وا اسفاه يا ينى! ماذا حدث؟ لم تأتِ، ماذا حدث، أنتَ
الطفل الصغىر الذى كان يجلس جوارى فى السينما ذات المرايا
عندما رأيتَه فى الشارع! لكن هناك شىء يضغط على قلبى
كقبضة حديدية لا عليك! لا تصدق! فأنتَ روحى! لا تحزن
يا ينى، وابتسم بمجرد أن ترانى ولا تعباً بما حدث فى المسرح
هناك صداقة فى الدنيا يا صديقى! ولم تمت بعد!

قصة لشخصين

إن لم يُسمع حديث الصياد للنورس الأعرج فهو يُرى. وأثق فى أن النورس يهتم بكلماتٍ، أولاً وإن قالوا لي أخبرنا ما قاله فلن أستطيع، لكن سأقول إن الوضع مختلف، مستحيل أن يكون الصياد هو من بدأ الحديث مع الصياد.

دعنا عما قال النورس ولنجعل الصياد يتحدث.

- النورس: ...

- الصياد: هلاً تصمت أيها الأعرج الوقت مازال باكراً، أما سئمت! مازلنا لم نصل إلى هدفنا، أقبل يدك اصمت! اصمت، اصمت لنصل سريعاً، أتود أن أقول لك كلاماً لا تحبه؟ هل أجدف؟ لا بد أن تظل جائعاً عكس ما قال سيدنا نوح ومثلما لم يوص الرسل، حسناً، حسناً! فليكن ما تقول، قف، انتظر، أقطع لك سمكة ماكريل، لا تصرخ يا بني، لا تصرخ يا عزيزي! لكن فعلت! وكذلك أصبتني بصداع يفجر رأسي يا هذا!

ألقي طائر النورس الهيكل العظمي لسمكة الماكريل المرتعش ذيها المنسلخ من لحم رأسها إلى ذيها، فتعلق على الجواريف،

وبعدها قليلاً ظهرت من بين الضباب جزر هاير سيز^(١) فصمت النورس وضرب بجناحيه فمر من القارب، وحلّق بجناحيه سبع مرات، فحلّق من فوق الصياد إلى سواحل جزيرة هاير سيز واختفى، ثم عاد، ووضع على بحر هادئ ولم يتحدثا بعدها. التفت إلى الصياد: عندما أذهب، فيعرف القارب، ويتبعني فهو طائر حسن الفأل.

- لماذا تقول له أعرج يا باربا (الخمار الهرم)؟
- هو أعرج بالفعل انظر إليه جيداً، يفقد أحد ساقيه.
- ماذا حدث لساقه؟
- لا أعرف ربما أتى وحش من أعماق البحار والتهمها، أو خلّق هكذا أو أنه سقط في يد طفل، غير معروف.
- صمتنا، وجلبت الرياح رائحة البر فشممت رائحة بطيخ بدأ يفسد.

قال الصياد: انظر إلى ذلك، مثل الإنسان! وضع على الهدف تماماً. وقفنا حيشما حط الطائر، فذهب النورس أمامنا بخمسة ذراعاً، وحط ومد رأسه وصرخ، وبينما يخرج الصياد السكين ليقطع الطعام له، طار مجدداً، وحلّق إلى أن اختفى.

(١) - واحدة من جزر الأمراء في بحر مرمرة

قلت: هرب يا باربا (الخمار الهرم).

أجانبى الصياد: سيعود الآن ويأتى، قد ذهب ليرى إن كان هناك صياد آخر فى سيفرى.

- حسنًا، هل ضرورى أن ينظر ليعلم؟

أجانبى الصياد: ليس له، لكن مهمالى، ثم صمت سريعًا.

لا يجب كلانا اللغو؛ كأنه كان نادمًا على حديثنا معًا بهذا القدر، سأقول إن الصياد كما قلتَ رجل يتحدث مع نفسه، لكن هذا خطأ فالأصح أن الثثرة فى تكوين الصياد، لكننى لم أصادف صيادًا ثرثارًا، وفى النهاية توصلت إلى نتيجة، وهى إن كان المرء صيادًا لن يكون ثرثارًا، وإن كان ثرثارًا لن يكون صيادًا، لكنه يجب أن يتحدث إن لزم الأمر.

- أترى ساحل كينالى الجبلى؟

- أراه.

- فهناك أرض بيضاء بالأعلى، فوق ساحلها الجبلى، فهو

أسفل الأشجار المتفرعة بالأعلى؛ أترى هناك؟

- لا.

فجذف قليلًا، وقال: والآن؟

- أرى الآن.

صمت مجدداً، وانبعث صوت عميق أصم من العالم الأزرق من أسفلنا، فالأصوات التى نعرف هى صوت الإنسان، والحيوان، والصفارات، والآلات، والخشب، والأسلاك، والشجر، والحشرات، سمعت صوتاً من العمق، من عمق أذرع تحت الماء، صوتاً مختلفاً تماماً عن أصوات الأرض، وبدالى أن هذا الصوت هو شهيق وزفير هذا العالم الأزرق، فسمعت جزءاً منقوصاً للمليارات الأصوات الصاخبة السماء العميقة لصوت هذا المخلوق العظيم الذى يدعى البحر، العملاق، مثلما يحدث مع نملة لا نسمعنا كلنا، لكن نسمع جزء من مليون منا، أصداغى تؤلمنى، وأذنى تطن، كنت ارتعب دائماً من الصوت الذى ليس ساكناً وعميقاً ولا يُسمع فى الفراغ، فرغبت فى التحدث كنت أود أن أصرخ كى لا أسمع ذلك الصوت وجال بخاطري أن أسبح حتى جزيرة سيفري التى دنوناً منها، وأن تطأ قدماي اليابسة، وأغنى التركو^(١) بأعلى صوت.

ناديت قائلاً: يا باربا، قل لى بالله عليك، لماذا يذهب النورس لينظر إن كان هناك صياد فى سيفري ثم يعود؟

(١) - مصطلح يُطلق على أغاني شعبية تركية.

رفع عينيه حمرة الجفون ونظر إلى وجهي فعلم أنني أخشى البحر، والصمت، وصوت البحر العميق غير المسموع، فرمقني قبل أن يجيب ثم ابتسم وأجابني بعدها: إن كان هناك صياد آخر يأتي ليخبرني، فأغضب ثم أذهب إلى مكان آخر، وفي ذلك اليوم ينقلب حالي رأسًا على عقب؛ فلا أعطيه سمك فلا أحد يعرف، يظنون أنني هربت كي لا أحدد هدف وليس هكذا والله فما المناسبة! الله يرزق من يشاء وبالنسبة لي سأصطاد أسماكًا هنا أو هناك أم (أحجارا)؟ فقد عرفت أعماق البحار كاسمي إن أرادوا معرفة ما في أعماق البحر ليأتوا ويسألوني فهوأتي صيد الأسماك فقط لا شيء غير صيد السمك أفهمت؟

كان الصياد يتحدث مع النورس فسأله قائلاً: من أين كنت ستعرف أنني استمتع فقط بصيد الأسماك؟ أجب يا هذا! لم يعد النورس يتحدث بعد الآن كانت عيناه المدورة ذات الحلقة الحمراء التي لا تتحرق موجهة صوب قاربنا بيضاء، ونظيفة، فكان يفتح منقاره ذا لون قشر البصل ويغلقه.

- أجبني يا أعرج! قل لي إن كان هناك صياد، وإن أتى إلى هنا فليس لك عمل قل لي: (أنت تتعصب، وتهرب، وتتحول إلى رجل آخر حتى المساء، يحدث لك ما يحدث)، قل لي: (لي أنت خنزير)، قل لي: (كأنك بإمكانك أن ترفع هذا المجدف وتضربني على رأسي)، قل لي: (أنت ترى رأس السمكة أفضل مني).

نظر النورس، وصمت.

فقال الصيادي: ألقى تلك الرؤوس إلى للنورس.

كيف تجرعها النورس، كان ذلك يستحق المشاهدة، فالنورس الشره كالإنسان الشره فهذا يقزز الإنسان، فأنا أفضل الناس التي تأكل خفية دون أن تصدر صوتًا، هؤلاء من يجلسون تحت شجرة، ويفتحون الغلاف، ولا تعرف ماذا يأكلون ربما يتمطقون، أو ربما يأكلون بشهية، لكن إن مر أحد بجوارهم يجلسون كمن قبض متلبسًا.

قال الصياد: طماع جدًا، لا أحب هذه الخصلة، لكن هذا هو النورس فالنورس كائن لا يعرف الشبع.
فقلت: مثله مثل الإنسان.

قال: لا، لا تظلم الإنسان، فالناس مختلفين، فمنهم القنوع.

- لكن قليل.

- بل كثير.

وأشار إلى مرتفعات (أولو داغ) التي لم يذب جليدها وقال:
"في هذه الأرجاء".

ألقينا الصنارة ظل الصياد يتحدث دون توقف الآن كأنه رأى
مشهد أن الإنسان إن كان ثرثارًا فليس صيادًا.

قال: رأيت قرويين كثيرًا يججلون من تناول الطعام، فيتناولون الطعام كأنه عيبًا، ورأيت أيضًا بعدها سادة يأكلون أسرع من النورس بلطف دون أن يفتحوا أفواه جراد البحر يأكلون بقدر أدهم محركين فكوكهم دون أن يتمطقوا، لكن إن انتهت قليلًا لذاك الفك ترتعب فكم هذا مرعب ليس فكًا، بل آلة، ليس آلة، بل مطحنة.

حام النورس الأعرج حولنا.

قلت: باربا لا بد وأن له قوارب رفقاء آخرين؟

- بالكاد.

- لا بد وأن جميعهم يعلمون خصلته هذه.

- وهل لهم ألا يعلمون؟

- كل هذه السياسة لنورس ...

فتح الصياد فمه ذي الأسنان النخرة حتى رأيت لسانه.

قال: حنجرة، حلق.

صمتنا مجددًا وتفقد صنارته وهمت أنا مجددًا في التفكير حابسًا الأنفاس نحو الأعماق؛ حيث ألقت الصنارة بسرعة ثم أصبحت عرجاء معي، فكنت أفكر قائلًا داخلي: ليتني

أنجو من موج هذا المخلوق الأزرق، لأتنفس على البر وأمت، وليتمتع الصياد بالحديث وانتظار السمك كما يحلو له، فبدأ يثرثر بغير رغبة تظهر أنه لا يفكر في نفسه فقط، ولم ينساني: "المياه سيئة اليوم، وأنت أيضاً سيء في البحر، سنعود بعد قليل، فلا تحزن".

أصبح صمته والتقاطه من جانب آخر واحداً غريب، اعتدت هذا الأعرج فأنا أفتقده في الأيام التي لا أراه حولي فأتحول إلى شخص لا يعرف ما حدث له، ويبحث عنه دون توقف ولا يمكنني التعود على الإنسان، لكنني اعتدت طائر البحر هذا فلو كنت اعتدت البشر لتزوجت، فلا يمكنني أن أعتادهم قضاء ليلة كاملة مع إنسان في البيت نفسه، والسرير نفسه يزعجني.

فكرت في غرفة الصياد، فلا يجلس هناك ويضع شبابه، وينام أغلب الوقت في المقهى أو القارب.

- ألا يروق لك البيت يا باربا ياكاموز؟!

- أبداً، أبداً، لا أحب المنزل ماتت أمي عندما كنت في القباط ولم يكن يمكث أبي في المنزل فما كنت أخرج من البحر صيفاً وكنت انتظره عودته من الصيد مساءً، فتقوم على الفور في مهجع القارب، ويذهب هو متدمراً ليرقد فوق شبكة الصيد

الموجوده فى منزلنا الصغير، ويأتى مبكرًا اليوقظنى، فإن لم يغضب من الحلم الذى رآه بالأمس ينشغل بالأسماك وإن غضب قليلًا يهمس، قائلاً: "هيا اذهب أنت وألعب فى السوق"، فابتعد حزينا.

- للسّمك يا باربا ياكاموز؟

- للسّمك، ماذا سيحدث؟!

- خذنى معك.

لم يجب ولم ينظر فى وجهى، فإن تم التفكير فى كون العطية التى أعطيتها إياها دون أن يصطاد السمك لا شيء ليلقى للمكان المهجور هذا، وأن لباربا ياكاموز احتياجات فى هذه الدنيا فهو معذور فى اصطحابى مجددًا إلى السمك.

قال: لكن إن مت فى القارب فلن تعود.

- كنت متعبًا قليلًا ذلك اليوم.

- وستكون متعبًا مجددًا، لا عليك ستخرج على البر بهذا

الضيق ذات يوم ولن ترتاح افرض أن شيء لم يكن، لكن إن مت فهاذا سيحدث؟ إن جاء أجلك فلا مهرب سواء كنت فى البر أو البحر.

- لماذا يأتي للمرء شعور بالخشية من الموت في البحر؟

- ليس خوفاً من الموت، ذلك خشية العقل.

- وماذا يعني هذا يا باربا؟

- الرأس في البحر مختلفة، والأمور تختلف عن التي في

البر، فإن مددت يد الغوث في البر فهذا بين يديك، لكن داخل

قارب فأنت بين يدي العجز إن مرضت فلا طبيب يداوي، وإن

مت فلا قس ولا إمام - كأن هذا سيفيدك حينها - إن عميت

فما ممسك بيدك، وإن جنت فلا يوجد مورفين والأفضل أن

تشرب زجاجة راقى، قف! بني رجب، اشتر لنا مئة وتسعين

من هذا.

قفزت من القارب، ونظرت؛ فإذا بمنديل مأتى أسود حول

ياقة باربا ياكاموز.

- من مات باربا؟

- قريب لي من بعيد.

هذه المرة لم نتحدث في القارب وعندما وصلنا إلى علامتنا.

فقلت: أترى طرف برج الفتاة؟

- نعم أراه.

- أرأيتَ تراه الأحرر.
- نعم رأيتها.
- هناك على الشاطئ منزل أبيض أفوق تلك الصخور تمامًا؟
- فوقها.
- أجبني ثم وضع القريدس في طرف صنارته وألقاها في البحر فتذكرت النوس.
- قلت: أين النورس الأعرج؟
- مات.
- متى؟ كيف؟
- لا أعرف كيف، لكن وصلت إلى علامتي صباحًا، فوجدته يسبح ميتًا فوقها.
- يعني أنه أتي ومات فوق العلامة ليراك؟
- لم يجب فخطر ببالي فجأة أن علامة المأتم التي وضعها في ياقته من أجل النورس الأعرج فابتسمت.
- فسألني: لم تبسم؟
- لا شيء، أم أن النورس الأعرج هو قريبك البعيد؟

رمقني وقال: اليوم تفكر كما لو كنت على البر، لا خوف!
وهذا هو الصواب لا بد هذا، لا بد أن تفكر العقول في البر كما
تفكر في البحر، فلا يوجد أي حل لأي شيء في البر أيضًا حلولنا
ليست بأيدينا كذب وهراء! فالدنيا دنيا عجز.

- مستحيل هذا يا ياكاموز فالدنيا بها حلول والناس
سيجدون حلولاً للدنيا.

- هيهات من يحيا يا ولدي! في البر يتم التفكير هكذا،
ولا بد أن يتم التفكير هكذا في البحر أيضًا خطأ، لكن ليكن
دائمًا، فلا بد أن نفكر هكذا.

كنت سأقول شيئًا، رفع يده وبها سيجارة، وأشار لي بيده
لأصمت فصمت وسحب صنارته، وكان ما اصطاده خمسة أو
سبعة كيلو من سمك الطرخان، كنت أظن أنه اصطاد عشر
كيلوات منه، ضرب مجرفته، وألقى بالسمك إلى ذيل القارب
وطيب الطعام ونظر إليّ كأنه يقول لي تحدث لنرى.

قلت: يا إلهي، ماذا أقول؟ أم أنك تقيم حدادا لما تم النورس
الأعرج؟

أشار إلى رأسه أولاً ثم قال: ما تدعوه رأس يبلى، ويهرم،
ويموت قبل أن يموت الإنسان.

أشار بعدها إلى قلبه وقال: هنا ما لا يبلى ولا ينقص.

صمت الرجل الكبير، رجل كالبارود رجل لا أحد يجبه في القرية ولا يستلطفه قال: عندما وجدت جثته هنا بكيت، ومرضت أنت عندما جئنا للصيد المرة الماضية، وأنا أيضاً عدت دون أن اصطاد، فكنت اتعذب، وذهبت إلى المنزل، ونمت، ثم استيقظت وفمي مُرٌّ كالسُمِّ، قلبت في الخزانات، كأني أبحث عن دواء، فوجدت هذا المنديل ووضعتَه.

انترع المنديل بأصابعه التي تشبه الصنارة، وألقاه في البحر.

وقال: وهذا نوع آخر من جنوننا، أيفعل البحر بنا هكذا أم ماذا؟ افتح هذه الزجاجاة.

صببنا الراقي في الكأس، وسقطت من عينه دمعة في المياه اللامعة ذات الرائحة الحادة، فضرب على صدره، وقال: هذا القلب قلبي، قلب المجانين.

رضا مليونير

لم يأت إلى إسطنبول منذ عام ألف وتسعمائة وسبعة وثلاثين من سبعة وثلاثين إلى سبعة وأربعين فتلک عشرة كاملة، وإلى ثمانية أربعين أحد عشر، إلى تسعة وأربعين اثني عشر، وأربع سنوات حتى ثلاثة وخمسين يعني ستة عشر عامًا.

كان آخر فبراير من عام سبعة وثلاثين؛ ولأنه صادف هذه المرة شهر مارس، فكان يوم بقدر ستة عشر عامًا وشهر، وكأن السنين مرت من محطات لا تتوقف!

اندهش عندما نزل من القطار، وندم كثيرًا، ماذا يعني تركه لحذائه والرده المعتدلة التي تفوح برائحة المرحاض؟ كم أنه اشتاق إلى الوجه الوردی لزوجہ المسکينة، وقف ابنه الجمیل الذي یصفعه عدة مرات، ورموش ابنته! أیشتاق المرء لمذیاعه، إلى مؤشره الأخضر الملطخ؛ أیشتاق إلى المدن الکافرة المخططة بخطوط حمراء، وخضراء وصفراء، أو إلى أماكنها المضاعة بمليء اسمائها؟ سحقًا! یشتاق المرء إن كان لديه شعور، یحمل بركات أمتعة وسلامات فنادق سركجي من جميع أحياء

الأناضول، فقد رُسم خطان حيان، خاصان على مرآة مقهى كل فندق خاصان بالسيد حجي مصطفى، وزياتجي، والطبيب البيطري فؤاد، وكانجال أوغلو، وصهر السيد إدريس، وفك ابن الملتحي وإلا كان سيصبح غريباً أكثر، على كل، إن كان ارتقى الفن قليلاً، وحلّق بالإنسان إلى السماوات في إبرّة كهذه وتركه على سطح المنزل كان ليتعد سريعاً من هناك فتساءل: "إن نزلت على سطح المنزل فماذا سأفعل؟ أيجب أن أدلي جبلاً من داخل المدخنة لأنزل؟ أم ينبغي عليّ أن أصرخ وأنادي من السطح؟ المنادة والصراخ عيب، وكذلك إيقاظ الأطفال أيضاً، لكن في هذا الوقت هم بجانب المذيع، من يغلظ القول وفي أي منزل في هذه الساعة؟".

لماذا ينزل على سطح المنزل؟ غباء، وبله! فبما أنه جاء إلى الحديقة بإبرة غُرست في لحمه السميكة بفضل العلم الذي وصل إلى هنا، فبإمكانه المجيء إلى باب البيت، وإن طال مفعوها يمكنه تجول حي كهذا بأكمله، أليس كذلك يا عزيزتي؟

كم تعجب أهل المنزل، كانت ستقول زوجته بسفه وجهل: كيف حدث أمر كهذا يا سيد رضا؟
وصلت إلى الصيدلية.

وقلت للصيدلي: أيها الصيدلي أعطني من إبر السفر تلك.

فقال لي: مستحيل، لا بد من وصفة طيب.

فقلت: لا تفعل، لا تقم بهذا، لا تصنع بي هذا، هل هذا لنا
أيضاً أيها الصيدلي.

فقال الصيدلي: أحصل عليها من الطيب، فلما أعطيك
النقود، لن أعطيك يا سيد لن أعطيك ألدك مرض في
القلب؟ أضغطك مرتفع؟ أمصاب بالسرطان؟ أم أن لديك
جرح في رتيك لم يلتأم؟

فقلت: بشروا ولا تنفروا يا هذا، أقسم أنه ليس بي أي شيء
ظاهر أيها الصيدلي، والله لا يوجد بي شيء، فأنا مثل الحديد،
فليس لدي ولا ضغط ولا باسور، أين يمكنني العثور على
الطيب في هذا الوقت؟ سأعطيكَ النقود التي يحصل عليها
الطيب، ولكن أعطني من تلك الإبر.

ابتسم وفكر، فابتسم مجدداً، فمهما تقدم العلم يا زوجتي
سيظل الإنسان حيس زمنه، وافق وقال: "ادفع لنرى"، كانت
أجرته في بادئ الأمر خمسة وعشرين ليرة، واتضح أنه مع تقدم
العلوم تزداد أجور الأطباء في ولاية إسطنبول.

انتفض السيد رضا، ولكنه كان يفعل أيضاً! إن لم تكن رأسه
وهو في المنزل بملكها أن تشغل بالمستحيل هكذا، ولكن لما لا؟

حدث السيد رضا نفسه: بفضل العلم كل ما أحلم به أصبح ممكنًا، لكن دعنا نترك الحديث عن هذا، على كل فهو خيال، الحاضر، والحال هو خيال!

صاح بائع الصحف الذي دخل من باب المقهى قائلاً:
"قتلوا المشير تيتو فى لندن!".

فقال: "أعطني تلك الجريدة لنرى"، وأعطاه عشرة قروشًا، وعندما أعاد له البائع خمسة قروشًا تظاهر بالفرح وقال: "هذه الجريدة رخيصة يا سيد، لا تأتي إلينا هذه الجرائد، يرسلون لنا جرائد بخمسة عشر قرشًا، انظر لأهل إسطنبول هؤلاء، يقرؤون جرائد بخمسة قروش، وقرؤوننا بخمسة عشر.

البصل، كم طن من البصل لديه؟ البطاطس، الثوم، الشوفان، الشعير، والذرة؟ ضع عليها عشرات القروش، وحسب حسبته، حرب اندلعت، وقد كان مليونيرًا فى الأساس كانت هذه هي بغية السيد رضا فقد ترك له أبوه السيد حافظ صايم منزلاً، وبدلاً، وحقلاً، فأثبت نفسه جيداً فى المنزل، والبدال، أعطى الحقل إلى شريك اشتراه وباعه، يمر عليه ويذهب.

كان الحقل الذي تبلغ مساحته ثلاثمائة دونم^(١) على حافة المياه والذرة فى الحقول المطلة على المياه تنمو حد السماء والله

أعلم، وعندما يتجول المرء داخل الذرة، يصاب بدوار من رائحة الأهداب فتذكر ضوء القمر في حقل الذرة، وبإله من ضوء قمر هذا! كم يساوي بالنقود القمر في البحر! كيف يكون اليوم الذي يخدع فيه الليل القمر ويؤتى به داخل حقل الذرة غربت شمس المساء داخل الذرة بهبتها.

قطع بطيخة وأكلها وعندما كان يمر بجوار الحقل رأى سروال ابنة الغجري، وبعدها في يوم ما دفعوا ألف ليرة مقابل دونم من الحقل لأجل مصنع سكر الذي سيكون فأل حسن، وثلاثة مائة ألف ليرة مقابل ثلاثة مائة دونم، كان سيجن ذلك المساء نسج أحلام واهية فوضع النقود فوق بعضها، ولم يعرف للنوم طعماً، ها هي فتاة بوسنية ذات شعر أشقر، وعيون زرقاء؛ وأخرى سيزرية غجرية سمراء، بنظرات إعجاب، ورائحة الورد، وشر كسية بخصر ممشوق، وجورجية بعين كاللوز وبشرة بيضاء، وقد اشترى سيارة بحصان أسود، وبنى بيتاً على هضبة، الخوخ، فقد زرع أشجار الخوخ، ولكنه لم يرتاح فقد عانى الأمرين ليصل إلى خمسمائة ألف، فأصبح أكثر شحاً مما كان عليه، ليته كان يستطيع كسب المليون الآن المليون، فما هذه الكلمة يا صاح فما هي؟ م...ل...يون!

تنظر لقوله المليون سريعاً، وتنخدع بفم الطفل يا صديقي، المليون هي عين أمه (مليونير): رجل المليون، امرؤ المليون، أما كان ليكسب ستين ألف ليرة من البيانجو الآن، ليته بإمكانه تغيير اسم والده، فما اسم والده ترى؟! (كاراجوز أوغلو) أنفق ثلاثة مئة ليرة ليسمي نفسه رضا المليونير (رضا المليونير)، علق لوحة على باب دكانه، لكن إن قالوا له أحسب نقودك فأنت لست مليونيراً يرتعد قلبه.

إن قامت الحرب سيكون الوضع على ما يرام، كان سيشير حينها إلى المستهزئين، عشرة قروش كثير مقابل كيلو، ثمانية قروش تكفي، فقد كان مليونيراً.

نظر إلى صورة تيتو، أ يكون رجلاً، نعم هو رجل، والصحيح إن تلك الحرب نشبت بسبب هذه الحادثة، ألم تنشب أول حرب عالمية بسبب قتل ولي عهد النمسا؟ ألم تندلع من صربيا؟

همس صوت في أذن رضا قائلاً: "أخذوا ابنه مع الجنود"، وآخر: "الآن القبلية لن تبقي ولا المليون، ولا شجاعاً، ولا منزلاً، ولا حتى قصر السيد رضا فوق الهضبة!".

غير مكانه ذهب إلى النافذة وجلس أمامها وشاهد القطار، إن قفز فوق القطار الخاوي، وذهب إلى باي أوغلو، وتجول فلن يكون سيئاً، دون أن يقرر أيذهب أم لا أضاف خمسة قروش على

ثمان كيلو البطاطس، ومع احتمال اندلاع الحرب في رأسه وتلك الزيادات التي يضيفها هنا وهناك أصبح لديه ميلون ليرة، لتندلع الحرب أو لا؟ إن اندلعت سيصبح مليونيراً، ولكن ماذا إن أصبح له ولد ذكر؟ لم يكن له ولد أسمر يشبهه تماماً، حتى إن لم يذهب إلى البيت المدهون بالطلاء في الجبل، لكن المنزل ذو السياج والرائحة الكريهة بالقرية والمدفأة الحديدية الذي يحتوي على أريكة، وحديقته بها شجرة برقوق انهدم، وماتت زوجته، بعدما بقي في دوامة المليون ولم يعد للنقود قيمة، ولم يعد لأي شيء قيمة، فظن فجأة أن عمره كله ذهب سدى، ففطن سريعاً أن تقديره، وغناه، وصحته، والمذيع، والمنزل الموجود في الجبل يتوقف على المال.

لم يعد هناك قيمة فلم يعد لأي شيء قيمة، ولم يعد له هو أيضاً قيمة، أكان البيع بالاسم عملاً؟ أكان تجميد النقود بالاسم عملاً؟ أكان بيعه لحقل لا تفيض به الماء إلا قليل، ولا يساوي وقتها ثلاثة مئة قروش بثلاثة مئة ألف، وتغير سلامه وصباحه واحترامه وتقديره في الشارع، وفي الحي فجأة عمل؟ أكان كل هذا عمل يا هذا؟! وطأ الحزن بداخله فجأة فنزل إلى الشارع مجدداً.

نعم فقد كان عمل! كان عمل! أيمكن للجميع أن يفعل هذا؟ لم يكن ينبغي أن يهتم بحظه، ينبغي أن يكون الله واحداً

عند الإنسان، لكن لما الله يختار ويختار لماذا يختار واحداً مثله لكي يكون محظوظاً؟ فذلك غير معلوم، فلا يُسأل الله عن حكمته، لن يستوعبها العقل، وحينها يأثم الإنسان فيجب ألا يفكر المرء كثيراً لكيلا يأثم ويجب أن يُقَرَّ أن الله لا يُسأل عن حكمته! فيصبح دينه كاملاً، فالمتدين يجب ألا يفكر بعمق، ولا يشك! يجب أن يقول هو كذلك كُتب في اللوح، ولا يجب أن يسأل عن الحكمة في هذا ومن يسأل يأثم فمن أراد أن يأثم فليسأل، على الأقل لا يسأل المحظوظين مثله!

- بني أيها النادل! ابني! أتشتري لي جبن أصفر وقطعة خبز؟

- حسنا يا عمي لأشتري لك.

لا يفكر، ينظر إلى عربات القطار، أيجوز ألا نفكر؟ رأسه كالساعة يفكر الآن في زوجته، يبدو أنها نائمة وتغط في النوم، لم تكن تفكر ولا تحلم، كانت تصارع دائماً لتلقي بإحدى قدميها فوق السيد رضا، ولكن عندما لا يكون موجوداً، لا بد وأن قدمها تسقط سريعاً على الوسادة الباردة، فقد كانت السيدة حسنية قلقة في نومها، ولم تكن ترتاح دون وضع قدميها على فخذ زوجها، نظر هائماً داخل المقهى، فلم يعد هناك أحد ورحل المتجهون إلى باي أوغلو، وانسحب الباقون إلى غرفهم، فقال سريعاً بصوت مرتفع: اسحبي قدمك هذه يا امرأة.

- احضرت لك يا سيدى ما تريد.
- قل له يحضر لى الشاي يا بنى.
- أغلق موقده وذهب سيدى إن أردت أعد لك القهوة؟
- اه... لن يكون جيداً، لكن احضرها لنى!

نزل هو ووالده قبل ستة عشر عاماً، لكن لم يكن فى هذا الفندق فى الفندق المجاور له، وأخذه والده إلى الطبيب فى اليوم التالى، فأجرى له الأشعة، وعندما رأى الطبيب الأشعة فى اليوم التالى، أخذ ينظر له بشك فقال لنجرى أشعة أخرى، فهذا غير صحيح، فجعلهما يجريان أشعة أخرى، نظر الطبيب إلى الأشعتين، فاحتار، وقال: هذا غريب، مشيراً لأبيه إلى سواد بحجم المقمع موجود فى الأشعة وسأله عدة أسئلة.

- كيف حال النوم معك؟
- أتعرق ليلاً؟
- أنصاب بالدوار عندما تكون فى منتصف الغرفة؟
- أستطيع النوم فى الضوء؟
- أيتابك هذا كثيراً فى الغرف المظلمة؟
- أكثر من شرب المياه ليلاً؟

- أتكثّر من تناول الطعام؟
- أشرب الخمر؟
- أيجد لك هذا عندما تشرب الخمر؟
- كيف تستيقظ صباحًا عندما تجد نفسك على الأريكة؟
- هل أنت أعزب؟
- أما يجدر لك هذه عندما تأتي زوجتك - تفهمنى - أو أي شيء آخر؟

قال له أبوه أثناء عودتهم في القطار إلى القرية: " لا يوجد بك شيء! عندما تتزوج لن يكون بك شيء وسيذهب عنك هذا"، بقعة سوداء بحجم المقمع، أتوب إلى الله! كل هذه ذنوب! أيتخيل المرء ما يوجد برأسه؟ كل هذه خدع! كلها فخ النقود! عندما كنت في الخدمة العسكرية أبلغني طبيب الوحدة، كنت تذهب وتجلس فوق سرير شخص آخر وتحدث متتصف الليل، فأني بله هذا! أما كان لديك علم بهذا؟ أكان هذا مرض السير أثناء النوم؟ أيجد مرض كهذا؟ عندما تكون زوجتك جوارك امرأة نائمة بعين كنتك أظل هناك مرض كهذا عند المرء وأنت أيضًا لا عليك يا رضا، استمتع! ولا تغضب لكل شيء فكل هؤلاء الرجال مخدوعين بالمال! لا تكترث! لكن

لا تشرب كثيراً، فتتعب، ولنشمر عن السواعد، ولنجد لك زوجة تنام بعين واحدة.

لكنه لم يجد نفسه وسط الغرفة ليلاً منذ خمسة عشر عاماً، وهذا يعني أنه لم يكن لديه مرض ولا غيره، فلم ترسله زوجته إلى إسطنبول وتتمسك به قائلة: سآتي معك، فبكي هذه المرة كالطفل، وأحاط به خوف مخوف بالشك، ليته أحضر زوجته هذه المرة، لم يحضرها أذهب إلى مكان؟ أما كان يجب أن يذهب إلى باي أوغلو هذا المساء؟ لكنه لم يكن يرغب.

عندما خرج السيد رضا من المقهى التي انطفت أضوائها ببطء، وجد أن النقود نقود، ليزيد سعر البطاطس عشرة قروش، وإن كانت ستندلع حرب لتندلع، إن كانت ستندلع فلتندلع، فالنقود مقابل الحرب، فلا بد أن يشتري القليل من الذهب من الصرافة، وليحول النقود إلى ممتلكات، وليعود إلى حيه على الفور، نام عندما قرر العودة صباح الغد.

كُتبت الحادثة في صحف مساء اليوم التالي: "مات السيد رضا المليونير أحد التجار بعدما نُقل إلى المشفى في غيبوبته بعد أن سقط من غرفته بالطابق الثالث بفندق شيرين ماناس، وبدأت الشرطة التحقيقات".

وظهرت المعلومات الكاملة في الصحف بعد عدة أيام:
 "تم التوصل إلى حل الأسرار وراء واقعة السقوط من النافذة
 والموت التي أخبرنا بها، والتي حدثت في فندق شيرين مانياس
 بسر كجي، وتم التوصل إلى أن السيد رضا التاجد مبتلى بمرض
 (السير نائماً) فسقط من النافذة نتيجة لأزمة أخته ليلاً، وتم
 تسليم الجثة التي نُقلت إلى المشرحة للأسرة".

بىء اللبلاء

سألنى: أى منىل هءا، أى منىل؟

أعلم أننى فكرء، ترى لماذا سألنى مرءىن قبل أن أجىب، لكن لم أءء وقاء للإجابة.

قلت هءه المرة: منىل جان فرماز.

والمنىل كان كوئأ، أو عرىشأ، أو ركام حجرى فلا يشبه المنىل، فهو كان يشبه الكهف، فما كان فوءء فى هءه القرىة من يعرف (جان فرماز).

على الرغم أنه قال لى بمءرء أن تقول منىل اللبلاء، سىءلك الءمىع، فهو أءمل منازل القرىة.

وقلت أنا: جان فرماز هو أشهر رجال القرىة.

فقال: بالطبع! بالطبع! أمشهور بالكلام فقط؟

- عنءلىب القرىة، الوءىء فى القرىة من يشبه الإنسان الوءىء فى القرىة.

- الوءىء؟

- شيء وحيد فيه.

- وما هو؟

- افتخاره ب..

- مصدر فخر.

- بالضبط، بحد ذاته.

فضحكنا معاً، وما زال الرجل ينظر إلي بتعجب، فقد كان مندهشاً، هز رأسه فجأة وابتسم حتى نادى على أحدهم من بعيد يمر وفي يده صفيحة طلاء: "صبري! صبري!".

- قل يا سيد ميخال.

- تعال يا هذا، تعال.

- أنا مشغول.

- تعال بالله عليك! نبحث عن منزل جان فرماز يُقال

إنه منزل محاط باللبلاب.

التف الدهان وأتى نحونا، بينما كان يقترب ظل الرجل يبحث بعينه في وجهي يغمض عينيه ويفتحها، يغمضها مجدداً ويفتحها وكان هناك ملامح للسعادة في وجهه المتجعد، وفي فمه ذي الأسنان التي تشبه المجرفة، وشاربه الخفيف المتسخ.

أصبح الدهان بجوارنا الآن، وكان الدهان طفلاً كبيراً، وكان وجهه نظراً، جميلاً، صحيحاً، اقترب منا بابتسامة تضع على حدوده السمينة غمازات، وسلّم علينا.

وسألني: أتبحث عن منزل جان فرماز؟

- نعم أبحثُ عنه.

قال السيد ميخال ضاحكاً: أتعرفه إذا؟

أجاب الدهان: أعرفه، أنا ذاهب أيضاً إلى هناك الآن.

قال السيد ميخال ساخراً: "أكذلك؟ يا إلهي! كنس شاربه كأنه أصابه الغبار، وهزّ حاجبيه بأصابعه بالشكل نفسه، وقال: "اصطحب معك السيد إذا".

وعندما التف وذهب، بدالي في تجاعيد قفاه كأن هناك سيد ميخال آخر يكبره في العمر أمرد كأن هناك توأم أمرد له يبتسم. سرت أنا والطفل الدهان معاً أحاطت بنا رائحة العرق الذي تصبب من جسده السمين، وكلما سرنا ازدادت حرارة الشمس سرنا حوالي أربعين خطوة، وفجأة وجدت السيد ميخال جوارى.

وددت أن أسأله: "أعدت؟" لكن تراجعته وسرنا عشرة دقائق في طريق دون أشجار ولا ظلال ودون أن نتحدث، وعندما

خفت رائحة عرق الدهان السمين انبعثت هذه المرة رائحة غرفة مغلقة، أو منديل قديم به سعال لم يُغسل فانطلقت كأنني سأصل إلى الظل بعد عشرين خطوة، والتفت لوهلة ونظرت خلفي فوجدت الدهان والسيد ميخال أبطاً، يتها مسان، فبدأ لي أنهما يتحدثان عني، فأبطأت أنا أيضاً على أمل أن أفهم موضوع الحديث ونظرت، فوجدتهما يقفان تحت الشمس مباشرة و يتبقى على ظل شجرة الكستناء الممدود عشرة خطوات أو تزيد، فنادياني بينما كنت أفكر متردداً، ترى أذهب للظل، أم انتظرهما، أم أقف مكاني لأتصت؟

قلت: تعالا، لتحدث في هذا الظل يا عزيزي.

قالا: لا، لا تعالي أنتَ إلى هنا! فذهبت إليهما، وأصبحت التفت للأول وللآخر بعد أن انهالا عليّ بالأسئلة دون أن أجيب، شاعراً بضيق بين رائحة عرق شديد ورائحة بسطرمة متعفنة في فم الآخر.

- من أين تعرف جان فرماز؟

- هل ستستأجر غرفة؟

فقلت: أليده منزل؟ فكيف لي أن أرى من قبل؟ أليس لدي عقل؟ كيف هذا؟ ما اسم جان فرماز الحقيقي، هل لي أن أعرف؟

لم ينصتا لما لزم أن أجيبه، أو الأصح لما استطعت أن أجيب به.
فقالا: موجود، اذهب يا صديقي!

لا يوجد في هذه القرية من يُدعى جان فرماز، وإن كان
فليس له منزل، وإن كان لديه فلا يوجد غرفة ليؤجرها، وإن
كان لديه فلا يمكن المكوث مع رجل كهذا، وإن مكثت معه
فهذا لا يُحتمل، وإن تحملت فهما لا يعرفان منزل جان فرماز؛
وإن عرفا فلن يدلاني.

تحدثا فيما بينهما باليونانية وقالوا لي مجدداً: "موجود اذهب يا
صديقي، موجود اذهب إليه".

اتجهنا إلى طريق ضيق به ظلال كالجنة لم ألحظه في أثناء حديثنا
واختفيا صاحكين، وظللت اسمع صوتهما دون أن أراهما لمدة
طويلة فاندھشت أعرف جان فرماز منذ سنواتٍ طويلة، فهو
رجل مسكين، فما شغلني اسمه لأسأل عنه، فهو يمكث في
هذه القرية، وإن نظرنا إليه سنجد له منى بثلاثة غرف ورثه
عن أبيه يجلس في إحدى الغرف، ويستأجر الباقون في الصيف،
كالمودع، أعزب، فقلت: ليحتفظ هو بواحدة، وأنا بالباقيين.

وصلت في النهاية إلى شجرة الكستناء وانتهيت؛ فجلست
على حجر وكان يتجول حولي ديك وبضعة دجاجات، فيبدو

أنه لا يوجد أحد غيري، لا يوجد إنسان في الطريق، غالباً كلُّ يأخذ قيلولته فاستغرقت في النوم، وبعدها بقليل ظهر شيخ يحمل على ظهره ثقلاً، فجلس على الحجر الذي جلست عليه فجعلني أمسك عنه الثقل وأنزلناه معاً، وألقاه على المكان الخالي من الحجر، وأشعل سيجارة اللعنة! فلم اتشجع لأسأله، ولكن كان يلزم فبدأت الحديث من بعيد: "هل أنت من هذه القرية يا صديقي؟".

- لسنا من هذه القرية، لكن نعد منها أعمل حملاً هنا منذ عشرين عاماً.

- إذاً تعد من هنا.

- هناك من يعتبرنا، وهناك من لا يعتبرنا.

لكن جئت إلى القرية! ألن أصادف أحد في القرية يعطيني جواباً مثقفاً كهذا؟

فقلت: قرينك جميلة، لكن.

- هذا مرتبط باليوم فإن كان لديك سيجارة ومال فهو يوم جميل، وموقد يشتعل، وحساء يُطهى، وحمل تحمله، ولديك مال، ومبتهج.

- صحيح فكل شيء مرتبط بشرط هنا.

- وهناك من يعيشون دون شرط أو قيد.

- هناك لكن...

قلت: هناك موت يا صديقي، الموت سيموت صاحب ذاك المنزل وذاك الديك أيضًا.

ضرب على صدره وقال: فصاحب ذاك المنزل هو أنا، ونظر إلى وجهي وقال: وأنتَ أيضًا.

قلت: صحيح، هذا صحيح، ولكن مجددًا هناك فرق.

- في ماذا؟ أمن ميت لآخر؟

اندهشت وقلت: كذلك.

فقال: لا، لا يوجد فرق بين ميتٍ وآخر؛ ولكن الفرق بين حي وآخر.

فكرت وكان محققًا فقلت لنفسي: "يا للعجب!" نظر إلى وجهي كأنه سمعني فقال: نعم!

قلت: كنت أريد أن أقول هذا، هناك فرق بين حي وآخر.

- نعم هناك، فهو هكذا!

رأينا ظل رجل سمين ببيجامةٍ حريرٍ أنفه كبير من شرفة منزل بالجوار نظر إلينا هذا الخيال شزرًا، وأغلق باب الشرفة المفتوح بحرس.

قال الحمّال: أوقظنا السيد من نومه، يظن أنه سيعمر أكثر مني لأنه ينام القيلولة.

- ألن يعيش؟

فأجابني: لن يعيش فيبدو أنه في الخمسين وأنا في الخامس والسبعين وعزرائيل جواره من الآن.

قلت: وليس بجوارك؟

- ستنطفئ شمعتي، لن أموت من الشرب أو كثرة الطعام، لكن شمعتي ستنطفئ.

قلت: لكن، انظر ينام في حر الظهيرة، في نسائم خفيفة وعندما يستيقظ فإذا الفواكه العفنة، الخوخ والبرقوق، والحمل على ظهرك، صنبور الشارع لا يفيض بالماء ولا يوجد صنبور في القرية.

لم يجب كأن فمه أغلق، وكأني وجدت شيئاً مهما فأغلق عينيه، وفتحهما بذبول، وأمسك فكه ولحيته.

قال: أخذت عنقود عنب من الثلاجة؛ خذ يا قوي البنية، فأكلت وشربت بعدها كأس من ماء مقطر.

حقاً فقد أكل العنب، وكأنه شرب ماءً مقطراً، ولم أستطع قول (بالهنا والشفاء) لأسخر لتعمي عيني.

فقال: امسك لنرى هذا الحمل من الطرف يا ولدى؛ احمل:
تمام، هيا استودعك الله!

قلت: يا إلهى يا صديقى! انتظر! كنت أودّ أن أسألكَ.

نظر بعينه السوداوين الحمرأوين من أسفل الحمل غاضبًا،
وقال: اسأل لنرّ، لكن أمسك بسرعة.

- كنت سأسألكَ عن منزل اللبلاب ذاك.

فقال: أيّ منزل؟ أيّ منزل؟

يا إلهى سحقا! أسيختلط الأمر على الجميع؟ فقلت بأمل
أخير: "منزل جان فرماز".

بدأ يصعد المنحدر ويلتفت يمينًا ويسارًا، ويهمس قائلاً:
"موجود اذهب إلى عمله يا صديقى، موجود اذهب إليه".

حمل الشيخ الحملَ حمله على رأسه مجددًا على بعد خطوة
من الشمس ونظر إلي وقال: "وكذلك أنتَ تبحث بشكل
خاطئ ليس جان فرماز، لكن اسأل عن منزل جان فارامااز".

ذهبت إلى سوق القرية، ودخلت إلى محل لبّان، وطلبت منه
أن يحضر لي بمئة درهم خبز وزبادي وشربت بعدها عصير
تفاح بارد كالثلج.

- كم الحساب يا صديقي؟

- سبعة ونصف خبز وأربعون زبادي، الحساب خمسون قرشاً يا صديقي.

لبان أرناؤوطي باسم الوجه ويديه كيرتان، وعيناه الزرقاوان
تأسر الروح حسبني أرناؤوطي مثله ففتح الحديث عن تيرانا،
كيجالار، وميجالار وسألني ما إن كنت أعرف الألبانية أم لا.
فقلت: "لا أعرفها مطلقاً"، ولا أتذكر إن قلت له أنني كنت أتى
إلى هناك عندما كنت صغيراً أم لا.

تشجعت فجأة وأنا خارج من الباب، كأنا كنا أرناؤوط.

قلت: "في أي مكان منزل جان فرماز يا صديقي؟".

سؤالي كان قوياً كالحديد، فوجدت نفسي في الشارع، عندما
كان يسير نحوي بغضب سفينة حرب بعينه الزرقاء في وجهه
الأيض الناعم كحلوى الأرناؤوط، وبينما كنت أخرج من
الباب بصق وكان يقول: "منزل من، منزل من يا عزيزي؟".

مقهى افتاليكوس

أتي جواري شاب وقال: "مرحبًا".

- أووه أهلاً، مرحباً.

قال بعدها أنه كان يرغب في التعرف عليّ منذ زمن، ولكنه لم يجد فرصة، وبدأنا في السير، وكان يسأل عن أشياء كان من الصعب أن أعرف إن كان صادقاً أم لا، فإن كان صادقاً فيما يسأل فلا بد الحذر له، وإن لم يكن فالحذر مني. هكذا، ولكن ماذا إن كان يسخر؟ بالنسبة له إن كانت مخالفة، فإيجاد فرصة للهرب سيكون خيراً، لكن إن كان جاداً فلا بد أن يترك هذا الصدق للأطفال وعديمي الخبرة، على كل، فالشعور بالإعجاب الذي تولد في رأسه يوماً تجاهك سيتلاشى، ولا ينبغي الثقة في هذا الإعجاب، وتلاشيهِ سيكون جيداً لي وله، فأنا أشك في أمره، أما كان جلوسنا طويلاً إشارة لما نحسبه؟

وفقاً لأن نية الشاب كتابة مقالات فاحتمال صدقه في السخرية مني قوي، لكن ماذا عساي أن أفعل؟ فلا يبدو أنه ذكي أو حذر؛ وهذا نوع من التحذلق والأصح للتعامل ما إن

كان خيرًا أو سخرية هو اعتباره صدقًا، وإظهار التصديق، فإن كان ذكيًا سيستمر في لعب دور المعجب للنهاية، جيد، فلي لعب ولن يكسب شيئًا من هذا، وإن كان صادقًا حقًا فيا لها من سعادة هذا يمكن، ألم تتابع الكتاب الذين لا يروقون لك في هذا العمر كأنهم من عالم آخر دون أن تجرباً على التقرب إليهم؟ ألا يوجد كتاب تخلصوا من إعجابك؟ إن رأيت جيد^(١) كيف لا تنتظر لهذا الكهل الثمانيني بإعجاب، وإن وجدت فرصة للحديث معه من يدري لن تترك أسئلة لن تسألها.

- لم يخطر ببالي أن أجلس معك على المقهى.

كنت انظر إليه بجانب عيني فوالله لا يسخر ففكرت: "إن كان لا يسخر ألابد أن اسخر أنا؟".
قال: قصصك.

لابد أن يدافع على الفور لكيلا يتم جملة ربما يندم عليها فيما بعد فيقول الشاب أنه يرغب في أن يكون ناقدًا. سيندم على ذلك ولا بد أن يتراجع عن طريقه.
قلت: أنت أيضًا تكتب قصص؟

- أكتب شعراً ككل من فى عمرى وجرىب قصىن؁ لكن لم أنجح؁ وبعدها أعمل فى النقء؁ وىمكننى أن أقول إنه لا وىوجد قصة تركىة نُشرت لا أعرها لكن قصصك.

- انظر إلى الرءل الموىوء أماننا وُلء أعمى انظر فهو ىنادى قائلاً: (يا سىء مءموء!). ىعنى أنه ىعرف أنه أمام سىنما تقسىم؁ وأن هناك رءل ىءعى السىء مءموء فى مءل بائع الفطائر أمامه العلم الذى ىرعبنا كالبرىرة من ىبرى منذ كم عام ىملكه.

- مثلاً أنت ىمكنك أن تستوى منه.

- ممكن؁ لكننى لن أكتب هذه القصة أفكر فقط: ترى أعمى ىعلم أين هو من خصائص ما ءوله أم من الضوضاء؟ أم أنه ىءسب ءطواته؟ فما رأىك؟ فرضاً أن سرت من الیمىن ثمانىن أو تسعىن ءطوة سأكون أمام سىنما تقسىم؁ أعنءما ءرءت من المنزل كان مبقىءى ءقىقة على التاسعة؟ فأسىر بءوءة؁ لا بء أنها تمام التاسعة الآن ألم ىعلم أن بائع الفطائر مءموء ىغاءر مءجره فى التاسعة.

الظلمة فى عىنیه ربما ءلقت فطنة فى رأسه أكثر من التأثیر ءاخرجى؁ ربما نسىر من شىشلى فما ىمكن أن نكون لم نلاءظه بىن الأصوات الموىوءة فى ءرىبة والأصوات الموىوءة أمام

حديقة تقسيم؟ أحدث تغير في الأجواء؟ أيمنه أن يجد فرق بين السواد القاتم في عينيه والسواد الروحي القاتم؟ لكن يبدو لي أن الأصوات التي تبدو لنا غير معلومة، لكن بالنسبة له هي عبارة عن ضوضاء غير مدهشة لا تتغير محافظة على ماهيتها التي لا تتبدل.

فنحن لا نلاحظ هندسة الشارع؟ لكن هو ربما رسم في رأسه منحنيات، ومستطيلات، وخريطة الشارع وتفصيله وربما توجد روائح الأحياء أيضاً فيشتم رائحة كل متجر بشكل مختلف وربما يحتفظ بحفر السقف الي يعرفها وندباته كم أن العمى موضة مثل الأدب القديم أدب التدقيق.

وبينما كنت أفكر في كل هذا كان صديقي الشاب يمدحني دون توقف، وربما كنت أفكر ملياً في الأعمى بتأثير هذه الكلمات.

أخذ الأعمى السيد محمود من الجانب الآخر، ومرّاً معاً إلى السلم هناك، وبمجرد أن وطأت قدمه سلم المشاة قال الأعمى: "مرحباً سيد صادق".

قال السيد صادق: "يا إلهي، مرحباً سيد إيفان، جئت مبكراً اليوم".

- كىف مبكرًا؁ فالساعة التاسعة وعشرة دقائق.

وكانت الساعة التاسعة وعشرة دقائق تمامًا فى تقسىم؁ وكان هذا أكثر من اللازم والشاب بجوارى حىنها يسألنى عن أى قصصى تعجبنى.

فقلت: "لا أعرف؁ أسمعآ؟".

- ماذا؟

- قال الأعمى الساعة التاسعة وعشرة دقائق تمامًا قبل دقيقتىن.

فقال: لا يا عزيزى.

قلت: والله.

فقال: هذا مستحيل.

كان هذا ممكنًا وحىنها اكتشفت الأمر؁ عندما أخذ السيد محمود الأعمى لىعبُرًا الشارع حدث بىنهما محادثة لم أسمعها من صافرة الحافلة ربما سألها عن الساعة حىنها.

أصبحت أنا والشاب صديقىن مقربىن؁ فكنا نتشاجر أحيانًا؁ وكنت أستمع له بإعجاب وهو يدافع عنى أمام النقاد الذىن لا تعجبهم قصصى؁ ومرت خمس دقائق حىنها؁ فصمتنا كأننا

نفكر كيف عرف الأعمى الساعة وبعدها سأل: "كيف تكتب قصصك؟".

ضحكت ونظرت إلى وجهه لأعلم إن كان يسخر أم لا، لا والله أنه لم يكن يسخر كم أنه ولد صالح.

قال: أكثر قصصك التي أحبها (إنسان عديم الفائدة)، وبعدها قال هناك أيضاً (الأب - والابن)، و(تسيح) وهم أيضاً رائعين، (قبر ذو تعريشة) ليست سيئة أيضاً.

كنت خجلاً، لكنني كنت أصمت فرحاً.

- لكنك لم تجبني عن سؤالى؟

- عماذا سألت؟

- كيف تكتب قصصك؟

استطعت أن أقول: "لا أعلم".

فكرت: وإذا بصوت الأعمى يأتي من أسفل المقهى الموجود فوق الجدار فكان يتحدث مع السيد صادق بصخب.

قلت مجدداً: لا أعلم، كذلك مثل الأعمى للأعمى، فمثلاً أنا أكتب قصة وسميتها.

فقال: وما اسمها؟ ولم يسأل أنني أسمى القصة أولاً.

فلم أقل: لا، لكن هذا الاسم راق لي لهذه القصة.

فلم يسألني: وما هو؟

- مقهى افتاليكوس وحتى يمكن تجاهل المقهى ويصبح اسمها افتاليكوس فقط، وربما تكون القصة وما يتعلق بها في المرتبة الثانية.

كأنه فهم ما لم أقل فرد: يعني أنك تكتب القصة هكذا.

- سألت أنا هذه المرة: كيف؟

فقال: كيف لي أن أعرف تسميتها أولاً، وتنسجها وتربطها
بنتيجة.

قلت: لا، لا أفعل هذا، أتريد الصواب؟ فأنا لا أعرف جيداً
كيف تُكتب القصص.

قمنا لنحاسب فأظهر الشاب عجلة صادقة لكيلا يجعلني
أدفع المال.

فنظر إلينا اثنان بجوارنا، كانا يلعبان الطاولة ضاحكين على
حديثنا، أنا سأحاسب على هذا وأنتَ على هذا، فتردد النادل
في أخذ الحساب من نقودي وحسبته سيقدر بعجالة من قبعتي
وقماشها المتسخ ناظرًا لحالي وحينها دفع الشاب ثمن القهوة
فقلت: "عيب عليك".

ونزلنا سلالم افتاليكوس فصديقي المشغول بكيفية كتابتي
للقصص الآن، وغداً سيكتب موضوعات بكثرة بذور التين أن
هناك كاتب قصص غير جيد، فأنا لا أعرف أتمت قصتي؟ وإن
لم تتم فماذا نفعل؟ فهكذا هو منظورنا عن القصة يا سيدي.

أيا، أيا!

كنت أسير وكنت ابتهج كلما سرت؛ لأنني خرجت من المنزل غاضبا انزعجت من ماكينة الحلاقة نعم؛ هذا يحدث! بالتأكيد انزعجت من ماكينة الحلاقة.

كون الحقول خضراء، والبحر أزرق، والسماء صافية قضية جميلة ومن قال إنها ليست قضية؟ بله! وإن أمطرت، ماذا لو كانت الحقول بنفسجية، أو البحر أحمر، فإن أصبحت هكذا تصبح قضية. رأيت ورقة بنية كالشكولاتة، ونعجة بلون اللوز الأخضر فنادى أحدهم من خلفي: أيا!

فالتفت وإذا بزهور السلبين التي لم يشد عودها على حافة الطريق والخزامى التي في لذة البرقوق ينظرون إلي فدرست أسناني، ولم يكن ثمة أحد في الطريق، فرأيت سطح المنزل والبحر من بين طائرين يخلقان في الأفق وأوراق الشجر وبينما استكمل طريقي فإذا بمن يناديني: أيا، أيا!

أردت أن التفت لأنظر، وربما لم انظر لأنني أردت ذلك بشدة ربما، فنادى طائر من السماء أيا، أيا ومر ومرت من خلفي أفعى، وسلحفاة، وقنفذ وهناك ذبابة ربما هي من نادى أيا، أيا.

من جديـد نادى صوت: أيا!

ربما هذه المرة التفت لأنظر بغير رغبة، وبدالى أن أحدهم يتخفى بين الشجيرات، فجلست على جانب الطريق وكان يرعى حمارًا جوارى، وكان لونه كاللوز الأخضر أيضًا، وكم كان فمه جميلًا، وأسنانه، وآذانه، ورقبته! يأكل العشب ويقشو، وربما سمعت هذا القشو كأنه ينادى: "أيا!" ونادى صوت آخر غير صوت مضغ الحمار للعشب: "أيا، أيا، أيا!".

أحياناً ينادى صوت تعرفه فى أعماق أذنيك اسمك، أما يحدث هذا؟ نادر جدًّا، وربما أيضًا يناديك صوت من رأسك تحبه وتذكره جيدًا دون أن يكون صوتًا فهذا ممكن.

خيّم ضباب غريب ومشهور على الشمس فجأة لا يشبه السحب، ويد متسخة سحبت قماش من فوق ظهر الحمار ذى لون اللوز الأخضر، وأخذته؛ فتساقط فروه على الأرض، وألبسته معطفه القديم الرمادى، فأكملت طريقي، ولينادى أيا كيف يشاء فحتى لو كان صديقًا حقيقيًا، حتى إن لم يكن أحدًا، أود أن أكون مجنونًا ينادى على نفسه أيا، أيا، فلن أهتم.

ربما طائر، وربما سلحفاة، وربما قنفذ أيضًا، وربما المنادى سمكة من البحر القريب، أو وحش، بل هو الغاق، أو طائر الشقراق.

الأفضل أنني من أقول لنفسي أيا، مررت حينها، وهمس صوت لا يشبه (أيا، أيا) فاتبعته، فرأيت أمامي فجأة رجلاً وامرأة يسألان عن طريق (قالباظن قايا)، فقلت: أنتما فيه كأن الطريق تحرك فلم يسيراً، وابتعدا عني خطوتين ورأيت ابن القسيس منبطحاً بين الأغنام، فقام وهو يشبه مخلوقاً أحمر كالديك المرقط، ومسح لُعبه، ومسك كبشه من قدميه فتكؤم على الأرض مع الكبش، وقبّله من أنفه، ونظر بوجه قبيح أحمر هائج، ذهبت إلى حقل ورد الآن، وحتماً كان الطائر من ناداني (أيا، أيا!) هناك طيور هكذا لا تزقزق لكنها تنادي، نعم كان طائراً.

كان هناك رجل يحرق الأرض يدوس بقدمه على المعزاق، ويقلب الأرض التي تميل إلى الاحمرار فوق بعضها قال: "مرحبا يا صديقي".

- أهلاً، مرحباً.

فانشغل في عمله مجدداً وقلت: "أيا، أيا"، فلم يهتم ناديته مجدداً: "أيا!", فلم يهتم مجدداً قلت بسرعة: "أيا، أيا، أيا!".

قال: تفضل يا عزيزي.

قلت له: لم أقل شيئاً.

وضع خنصره في أذنه، وحكه ثم أخرجه ونظر إليه، وتظاهر
إنه يمسح مكان انحراف المعزاق.

قلت: "أيا، أيا!".

رفع وجهه إلى السماء فنظر إلى الطيور، ثم نظر إلى البحر، ثم
عاد ونظر إلي في شك.

سألته: كيف حال الخرشوف هذا العام؟

أجابني: ليس جيداً.

- متى ستجنون الفول؟

- مازال باكرًا.

قلت: "أيا!" كأنني اتنفس.

مجددًا نظر إلى البحر، والسماء، وإلي في شك.

قلت: لا بد أنها الطيور.

قال: أيضًا يتبادر إلى أذني هذا الصوت، ولكن من أي مكان؟

أصبحت في الأساس لا اسمع جيدًا بأذني.

قلت: لا بد أن تغسلها، حدث معي من قبل.

- أغسلتها؟

أفعى فى «ألما داغ» ~~~~~ ١١١ ~~~~~

- لم أغسلها، لم يعد ضروريا، ذهبت إلى الطبيب وأخرج ما فيها من وسخ سريعا.

فسألته: كيف حال الأطفال؟

أجابني: جيدين كانوا تسعة أصبحوا ثمانية تعلم قصتهم...".

قلت: اصمت، اصمت! فجرح القلب هذا هيا استودعك الله!".

قال: مع السلامة.

وعندما ابتعد قليلا: "أيا، أيا!"

فعلمت هذه المرة أنه كان البستاني كان هو.

قلت: هيا هيا، مسكت بك هذه المرة.

فقال: لا والله، والله لم أجن الفول بعد، لماذا أخبئه عنك، ألن تشتريه بالمال؟

- أأست أنت من قال أيا؟

- أنا أيضا سمعت هذا الصوت، لكن لم أعرف من أين؟

ليأتي من حيث يأتي من الجبال، أو الطيور، أو البحر، أو الإنسان، أو الحيوان، أو العشب؛ أو الذباب، أو الورد ليأتي من حيث يأتي! فكلمة أيا عندما لا تسمعها أيا يكون هذا سيئا

وبعدما تأتي فلتحيا الزهور، والذباب، والناس.

- أيا، أيا!

- أيا، أيا!

- أيا، أيا!

موت سمكة الجندوري

عيونهن جميعهن جميلة حليهن، عندما يكن أحياء يستحق أن يعلق زينة على ملابس النساء، وأذانهن، وصدورهن، فما الألباس، والياقوت، والعقيق، والزمرد؟

لو كان ممكناً؛ لدخلت النساء الحفلات الراقصة بألوان ظهور الأسماك الحية المتموجة، فالصيادون يجنون الملايين، والسمك يجني المجد والشرف، وللأسف بمجرد أن تبهر وتموت يذهب لمعان ظهورهن إلى صغارها الخزانى، والسمكة التي أحكى لكم قصتها لم يكن لها لمعان، أو حليّ بألوان متموجة، ولا يوجد أيضاً زينة للمسكينة، فكانت سوداء بلون أخضر خفيف غير واضح، كانت أقبح الأسماك ضخمة، دون أنياب، ولديها فم أبيض شفاف من النايلون؛ بمجرد أن تخرج من الماء يُفتح بمقدار شبر يُفتح ولا يُقفل مرة أخرى.

ألم أقل إن جسدها متسخ، أسود؟ ألم أقل أيضاً أنها مسطحة تماماً؟ كذلك لم أقل إنه كان على جانبيها في الوسط آثار إبهامين يمكننا قول إنها بقعتين سوداوين؟

هذه السمكة التي يسميها الصيادون اليونانيون هريسوبسارس (سمكة هريسوبسارس) أصبحت وحشاً بحرياً مرعباً، مع الوقت كان تسبح إلى البحر الأبيض بدهشة قبل ميلاد عيسى ليتهال لا تسقط في بحر فينيقي! لم تكن هذه قوارب صيد بني إسرائيل التي أغرقها سفن حنبل، يقطع، ويحصد، ويفرق، وينكز، ويعلق، ويمزق، ويقطف، ويلقي، ويجزئ، فهو أشجع قرصان بالبحر الأبيض لا يخشى البشر أو الحيوانات ولا العاصفة أو الصواعق ولا المطر أو الكوارث، ولا حتى العذاب، لكن يمتنع لونه إذا سمع اسم سمكة الجندوري.

بينما كان يتجول عيسى على حافة البحر ذات يوم رأى صيادين يتركون قواربهم في دعر شديد ويهربون وعندما سأهم: "ماذا يحدث؟".

قالوا: يا إلهي، وأأسفاه من هذا الوحش! كسر قواربنا، وفتك بأصدقائنا، فأصبحنا لا نصطاد السمك، سنموت جوعاً.

سار عيسى حافياً أشعث باتجاه البحر، حيث تحركت أسماك الجندوري فأمسك بأكبرهم بيده ذات الأصابع الطويلة، وأخرجها من المياه، وأحكم قبضته عليها بأبهيمه، وقربها إليه، وهمس إليها ببعض الكلمات.

وفي ذلك اليوم كانت تبدو أسماك الجندوري مدهشة في البحر لكن ظهرت بمظهر المخلوق الأليف المسكين، وكان لديها نتوء

وأشوالك فى أماكن عديدة تشبه المسامير، والقءوم، والانحناءات، والكلابة، والمنشار والمبرد، ولابد أن لهذا السبب سُميت سمكة الجندورى بهذا الاسم.

تحيط كل هذه الأدوات بالغشاء المزخرف ما يمكننا أن نقول إنه من النايلون الشفاف والغشاء الرقيق الموجود فى الذيل يتسمك قليلاً، ويقتم لونه، ويتشكل بذيل السمكة.

عندما تعلق بالسنارة تضيق بها الدنيا، والمياه ومن يءرى بأي خوف شعرت؟ الدنيا بالنسبة لها خاوية إن نجت من السنارة لن يفيد تتسطح على وجه الماء وتظل ناظرة إلى الإنسان بعينها الواسعتين، وعندما تأخذها إلى القارب تسمعك صوتها لدقائق نعم صوتها! هذه السمكة وكذلك سمكة الدجاج الرملى تصدران صوتاً يشبه الصراخ أو الزفير إلى أن تموت فى القارب ليتها لم تصطدم بقمها ذى الأغشية الرقيقة فهذه هي صورة سمكة الجندورى الساخطة.

ذات يوم رأيت سمكة الجندورى مُعلقة على غصن شجرة الطلح المتفتحة زهورها، وكان نصفها أحمر والآخر أبيض أمام مقهى الصياد وكان لونها أسود كلونها، عندما خرجت من البحر، ولا توجد حركة فى جسمها دون روح كالبحر، ولكن فقط أغشيتها الأرق من الحرير والمحاطة بأدوات الصيد تظل

تتلاعب، ولم أرَ تلاعب من قبل كهذا نعم كانت هذه لعبة لعبة رياح خفية، ولا يبدو في جسدها أية رعشة فقط هذه الأغشية كانت ترتعش بأناقة ممتعة، ففي بادئ الأمر هذه الرعشة التي تبدو شيئاً ممتعاً ومسلماً للإنسان كانت في الحقيقة رقصة الموت، وإن فكرت السمكة أنها أشرفت على الموت يمكن أن تصبح هذه الرعشة متعبة، لكن الإنسان مجدداً يحاول ألا يفهم هذا المعنى، وربما كان هذا الموت ممتعاً جداً، وربما تظن السمكة أنها مازالت في المياه، تسبح في الأعماق كأن كل شيء على ما يرام، حلّ المساء ورمال البحر مدغدغة، وتظن أن بيض الإناث بالأسفل والحيوانات المنوية تتراقص من فوقها وأحاطت بجسدها لحظة النشوة، ورأيت فجأة شيئاً غريباً، بدأت السمكة في التحول للون الأبيض بشكل عجيب، وتتخلص من لونها، فامتقع لونها، تُرى أيتخيل لي هذا؟ أم أنها تغير لونها حقاً؟ علمتُ أنني لم أخطئ عندما رأيتُ أنه لم يعد ضرورياً القول والتدقيق في النظر.

بدأت الأغشية التي تزين جانبي السمكة في الإسراع في الاهتزاز، ومع مرور الوقت من لحظة لأخرى تتلون السمكة بالأبيض، فشعرت من داخلي بالخوف الذي يملأ قلب سمكة الجندوري، وكان خوفاً نعلمه جميعنا هو الخوف من الموت.

فهمت كل شىء الآن انتهى العالم فى أعماق البحار فلن تترك
جسدها مسطحاً للتيارات، ولا تُدفن فى الطحالب الخضراء فى
المياه القائمة، ولن تبجر من السطح إلى الأعماق كل صباح، ولن
تستيقظ سريعاً فى الضوء الرطب، ولن تتلاعب بذيلها داخل
الألعاب الزرقاء والخضراء، ولن تخرج فقاعات ولن تفر إلى
السطح، ولن تستلقي على الطحالب، الطحالب الحية، ولن تعلق
فى السنارات فيتم صيدها فلم يعد هناك صيد أنتهى كل شىء.
يستمر موت سمكة الجندوري طويلاً كأن السمكة تحاول
الاعتىاد على الأكسجين ما نطلق عليه الهواء، ويبدو لي لو
كانت أسنانها محكمة لكان اعتيادها ممكناً.

سكرات الموت التي تستمر ساعتين، ألم نطيلها إلى أربعة،
والأربع ساعات إلى ثمانية والثمانية ساعات إلى يوم، أظن أننا
سنرى بينما سمكة الجندوري تعاني من هذا بيننا.

سنحتفل باليوم الذي تعتاد فيه على محيطنا (مياها) فمنظرها
وقح ومرعب، لكننا سنفعل ما بوسعنا لنحزن هذا المخلوق
الغاضب فى الأساس والهادئ، الجبان إلى أقصى درجة والحساس
أيضاً ذو القلب الطيب بنظراته العذبة الخائفة ليتذمر مما أذقناه
وسيتعجب، فقد كان يتحمل سابقاً سنجعله شاعراً، متذمراً،
غير مفهوم وسيتخلص ذات يوم من حساسيته وفى اليوم

التالي من الحب واليوم الثالث من خوفه وهدوئه، وسيسام
وسيتخلص من كل شيء جميل بداخله واحدًا تلو الآخر، آه
سيحفر عيسى بفأسه مكان آثار أصابعه التي أمسكها بها من
خصرها مُظهرًا الألم من الأشواك والكلابات والمبارد والمناشير
وستتحول إلى وحش العصور الأولى.

ليتها لم تعد ميا هنا ولو لمرة؛ فلن نفوت أي فرصة لجعلها
شبحًا.



الرأس والزجاجة

تجولت طوال اليوم دون أن أعرف ماذا أفعل، فمنذ وقت طويل لا أعرف ما أفعل؟ ولكن يمكنني أن أرى ثمة أمور، إن تجولت هكذا وإلا سيكون هباءً وإن تحذرت! ولا أزعم أنني رأيت أو سمعت أي شخص هكذا، أو أمتعة أو حادثة كما كان متوقعًا، أرى أن الأمر عديم الفائدة وكذلك أدق التفاصيل، لكن فاتني الجزء الأساسي وإن دعونني للشهادة سأكون في مأزق لا محالة أتذكر رجلاً سحب سكينًا في الشارع فلم أر السكين، لكن عرفته من حاجبيه، لم أر الدم المسال من الشخص المطعون، ولا الألم في وجهه، رأيت أمورًا غير مناسبة.

إن سألني القاضي: "هل هذا من سحب السكين؟" سأنظر قبلها إلى حاجبيه فإن شذب أطراف حاجبيه صدفه ولم أقل: "لا، ليس هو"، أكون قد كذبت، أو أنني أستأذن القاضي؛ لأرى إن كان شذب أطرافهما أم لا، وإن كان الأمر كذلك فهذا أنا أصبحت رجلاً سيئًا في الشهادة، لكن كنت شاهدًا على شجار مساء أمس وأريد أن أحكيه. كانوا أربعة شباب في دكان الطاهي

والحانة فى الوقت نفسه دخلوها لشرب الخمر ودخلتها لأتاول الطعام؛ ولأنه كان يومًا عاديًا كان هناك ثمانية أو عشرة طاولات ممتلئة وعشرون خاوية جلست على طاولة لشخصين فى زاوية أمام ثلاثة العرض، أو عرض الثلاثة، وكنت بمفردي كنت بمفردي، لكن كأن أمامي صديق خيالي أحب صديقي الخيالي هذا كثيرًا حتى أنه أحيانًا عندما يتحدث استغرق فى شفثفه فوددت أن أقبله أحب يديه، ولون عينيه وتنهال داخلي أشياء منه دون توقف كالمطر ولا تؤذيني كلماته، ولا يتحدث بكلام ثقيل ولا يطيله، ولا يبصق، أو يصاب بالحكة، صديق مثالي، أرجل أم امرأة، غني أم فقير، متعلم أم جاهل أم كهل؟ مثلما أقرر يكون كذلك، أحيانًا تكون فتاة مثقفة دون مستحضرات تجميل أو زينة تتحدث بلهفة، وأحيانًا أخرى شاب جميل فى السادسة عشر أو السابعة عشر ليس متعلمًا، دهان حوائط، مسيحي، لديه عينان سوداوان كالفتح، عندما يستم يصبح أفضل من البشر ولا أشبع من النظر إليه، وأحيانًا يكون ستينًا ذى خبرة وقد عمل بالنجارة، والميكانيكا، ورسم الدعايا على الجدران باع الفستق وباع الشام والبطيخ، ويشوي الكباب فى زوايا الطرقات، وعندما يكسب المال يشرب فى المساء فىروي القصة تلو الأخرى فلهذه قصص بطولية، وقصص زوجين وقصص قتال وحروب كنت مع إحدى هذه القصص، نسيت يوم

أمس، ها أنا وصديقى الخيالى نجلس معاً نتحدث ولا أعرف ماذا كنا نقول أو عماذا بدأ حديثنا؟ وفجأة طارت زجاجة خمر بجوار أذنى فتهدمت على الزجاج السميك لثلاجة المعرض.

كان يقول أحدهم: أيها القواد، لماذا تنظر إلى هكذا؟!

نظرت أمامى إذ صديقى أسود العينين فقلت: "توقف يا هذا، توقف لنرى، هل أصبح النظر جريمة يا صديقى؟".

- تختلف نظرة عن أخرى يا عمى.

- أيها الشاب لا تحزن ودع الرجل الكهل ربما يشبهك بأحدهم.

التفت فنظرت إلى الرجل: يا للعجب!

كهل ذو وجه تتارى، ولحية بيضاء، وعينان ضيقتان، دون حواجب، أو رموش ولا يتفوه بكلمة، يضحك وامتنع وجهه وارتحفت يده من الخجل.

بينما كان يقول: "لا والله خطأ، هذا خطأ.. يا بنى! يا صديقى! يا جميل!"، غضب فجأة.

فقال: ماذا حدث يا هذا، وماذا حدث إن نظرت! إن كنت موسوساً بهذا القدر، فما أتى بك إلى الحانة لا شيء حرام على العين، فالنظر إلى الجمال ثواب! ثم ابتسم.

قلت: تعال جواري!

أجلسته مكاني ومررت للأمام ذهبت لأهدي ذاك الشاب وأطلب راقلي للكهل.

أصررت قائلاً: مستحيل اشربوا أنتم أيضاً.

كنت أريد أن أرسل زجاجة راقلي للشباب النائر.

فقال: "دعك، إن رأيتهم في مساء يوم آخر أرسل لهم ولا تضغط عليهم وإلا يرتكبون حادثاً، وافرض أنني نظرت ماذا حدث يعني! أجول الحي منذ الصباح منادياً (شاحذ)، فلا أخشى السكين يورد علي السكاكين بأنواعها كل يوم، فلا أخشاها والله! لديه وجه جميل فنظرت".

قلت: مستحيل، لكن انظر أبي الشاحذ يبدو أن العيب عندك.

رمقني وقال: وماذا تعمل أنت؟

أجبتة: لا أعمل.

نظر إلى شزراً: أتجول متشرداً؟ ما شاء الله! لكنك مهندم. دعك! لا تكذب، قل لي: ماذا تعمل؟

- أعمل، لكنني لا أذهب إلى العمل.

- وهل تكسب المال؟
 - أكسب ثمن السجائر.
 - ألدك ميراث من أبك؟
 - وهل يحدث هذا، لا تطل يا عزيزي! لماذا تسأل كثيرًا عن عملي؟
 - تبدو كأنك مثقفًا.
 - وإن كنت أبدو هكذا فماذا سيحدث؟
 - قال: المثقف لا ينصح.
 - وماذا يفعل إذا؟
 - يفهم الناس، ويفهم ماذا سيفعل.
- نادى على النادل وأرسل إلى الشاب زجاجة بيرة وقال:
- "قل لهم هذه من عمكم الشاحذ".
- وعندما لم يرد النادل في إحضار الزجاجة تبيع الشاحذ في مزاحه فأحضر النادل ميخال عديم الحيلة الزجاجة.
- قام الشاب الوسيم الذي تدلى شعره على جبهته من الطاولة المقابلة وسار نحو طاولتنا وفي يده زجاجة الخمر التي أحضرها النادل ووقف أمامه، وضحك.

دفعني كأنه يرفعني قائلاً: " لا، دعني، لن أفعل شيئاً، والله سأشرب في صحته".

لم أسمع أي صوت لا صوت اصطدام الزجاجاة برأسه، ولا صوت الخمر المنسكب على رأسه، حدث ما حدث عندما التفت لأنظر خلفي ظننت أن الشاب سكب زجاجة الخمر على العم الشاحذ تتقطر الخمر من شعره الرمادي.

وضع الشاحذ يده على رأسه وبينما خرج النادل يصرخ قائلاً: الشرطة، رفع يده من فوق رأسه أحمر وجهه وعينه فجأة، فنظرت إلى الطاولة، فإذا بزجاجة الخمر سقطت جانباً تنسكب على الأرض، ومجدداً نظرت إلى الشاحذ نظرت إليه جيداً هذه المرة امتلأت عينيه بالدم.

لن أنزل السوق

كأنني أبدأ كتابة المقال من جديد، فلم أمسك قلماً منذ شهور، حتى وإن أمسكت أكنتَ ستنتج شيئاً؟ لا أظن. هذا جيد! أو الأصح أنا ممتن لهذا، ولكن لماذا هذا المساء كل شيء يجبرني على الجلوس والكتابة؟ لو قلت إنني تحملت أكون كذبت سأقول أشياء لا أعرفها أجبرتني، لا دائماً ما يحدث هكذا، أكتب المقال بينما انتظر الباخرة وأنا ارتدي حذائي.

لا تهتم لكوني اتحدث كأن أحدهم سألني: "كيف تكتب؟"، فلا أدقق كيف أكتب المقال، بحثت ذاك المساء فلا بد أن أعترف أنني جلست في ضيق أمام ورق البقال المشور ذلك، فأياً يكن نوع هذا الضيق، أحاول أن أعرف لماذا أعمل وأنا في ضيق، بينما هناك حلول لتجاوزه؟

هكذا: لماذا؟ جيد أن لي كتب تُقرأ ولدي منزل وإن لم يكن لدي المال حتى ومدفأة وطعام وهناك مذياع بالأسفلى، لكنني لن أنزل السوق لن أنزل، لكن لا أقوى على ترك التجول في الجبال آه! أضع قبعتي، وأذهب إلى قلبازقايا، وأوشكت الشمس على المغيب،

يا إلهي، احذر! تستحضر صورة العالم من خلف مغيب الشمس ولا أنوي أن ألون الأمواج، أو أن أحمص الأفق كشريحة خبز. انظر! فعلنا مجددًا ما نفعله لوّنا الأمواج وحصنا الأفق جيدًا، فهكذا نحن درسنا الأدب السيء؛ ماذا نفعل؟ بدأنا الاتجاه إلى الشعر.

قلت لن أنزل السوق فلماذا لن أنزل؟ الجانب المهم من المسألة هنا أن هناك سر غريب لم أرغب في الإفصاح عنه طوال ذاك المقال المكون من عدة سطور، وبدايته جملة (لن أنزل السوق)، لا يمكنكم تخيل كم أنني وددت أن أتخلص من هذه العقدة، لكن ليس بملكي ولا بوسعي، لكنني لا أستطيع أن أكتب ولما أكتب أسأكون مثيرًا للسخرية؟ وماذا سيحدث في كون المرء مثيرًا للسخرية؟ إن لم يولد المرء لكي يكون مثيرًا للسخرية، فقد ولد للسخرية من غيره، فيتجه كلاهما إلى باب، ولا يخرجان منه ولا شيء يتغير، ولكنني أفعل، فلا يروق لي السخرية من أحدهم، أيروق لي أن أكون مثيرًا للسخرية؟ يحدث شيئًا كهذا؟ قطعًا لا أرغب أن أكون مثيرًا للسخرية، وفي هذه الحالة لماذا تتغير أنت؟، يا رجل؟ وإن قلت لكي أتلذذ بإنسانيتي، ربما لن يمكنكم تقبل بعض الأمراض، وإن قبلتم، وإسفاه على كل العيوب الإنسانية والحيوانية!

وإن قلت لكم الآن أننى موظف ميسور الحال، أكسب فى الشهر أربعمائة أو خمسمائة ليرة فى الشهر، ولدى ابتنان، تدرسان فى تلك المدارس، وزوجتى متكبرة قبيحة، فأعود بالمال الذى تحصلت عليه إلى المنزل، كل ما أصرفه فى الشهر كيلو من الراقى ولدى ثلاثة كأي ثلاثة، حيث تقبّع الزجاجة، زودتها بمقدار أصبعين أول الشهر وأتحمّل هذه التضحية، وأقول لنفسى لأقدم لصديقى الذى أتى على حين غفلة، على كل! افرضوا أننى لى طبع سيء آخر اقترض قليلاً من هنا وهناك، بالطبع على أن أسده أول الشهر ويتبقى مصروف لى ثلاثة وستون ليرة وخمسة وثمانون قرشاً ما تمكنت أن استخلصه من زوجتى، ليتنى أنفقت أموال الشهر الماضى كلها على ملذاتى، وليت كان على دين صغير لبائع التبغ مقابل الجريدة، وورق لف السجائر (البفرة)، وبضعة ليرات لصاحب الملهى مقابل المياه الغازية، واثنى عشر ليرة لبائع المهلبية؛ ولأننى لم أسد دينى الشهر الماضى، فهذا الشهر مجبر أن أدفع خمسين أو ستين ليرة فهل لى أن أنزل السوق، فلا يمكن أن أنزل أليس كذلك؟ نعم يمكن أن تنتهى القصة هكذا ليضحك الضاحك، وليبكي الباكي وليقل من يقول: "لكن يا لها من قصة!".

وهناك من سيفرح قائلاً: "لم يعد يكتب"، وعلى الرغم أن جميعكم تعلمون أن من كتب هذه السطور ليس موظفاً سأسدد

الدين للبقال والمقال، وبائع التبغ وغيره لكن لن أسده لن أستطيع وإن أردت سداده فلن يطلب بائع التبغ أكثر من ثمن عشر ورقات لف سجائر، وكذلك لن يطلب بائع المثلجات أكثر من ثمن ثلاثة، وصاحب المقهى لن يطمع في أكثر من ثمن سبعة أكواب قهوة، وبناءً عليه لن أستطيع سد الدين وليس هذا هو سبب عدم مقدرتي على نزول السوق، ليس هذا فما هو إذا؟ أمسألة بالنسبة لكم عدم مقدرتي على النزول إلى السوق؟ لا أظن فهذا لا يهكم وإن جعلت منها مسألة اغضبوا مني إن أردتم، لكن عدم نزولي إلى السوق مهم جدًا لكي أتمكن من بدء كتابة ذاك المقال، وإن حاولت أن أشرح لماذا لا يمكنني أن أنزل سيستمر هذا طويلاً، ولن يفيد أيضاً؟ فلا أريد أن أقابل أحداً، قدروا هذا وحسب.

لننهي هذا بعد الآن! لن أنزل السوق وحسب.

آه هذا ممنوع! فالمنوعات التي نضعها وسنضعها لأنفسنا، و يضعها الآخرون أمامنا، ونضعها أمامهم، والتي تضعها الدولة أمام رعيتها، والرعية أمام دولتهم، والقرية أمام ساكنها، والساكن أمام قريته!

إن لم نعش في عالم محاط بالمنوع؛ فلم نقدر أن نعيش وعلى الرغم أن الحيوانات؛ ولا سيما الأليف منها يعيشون سعداء

دون ممنوع، فإما يعيشون بسهولة ودلال، ما أسعدهم- بخلاف الشجار الناجم عن الجوع؟ فقبلنا الممنوع ويمكننا أن نطلق على الإنسان أنه حيوان ممنوع، أليست ممنوعة الجراثيم كلها؟ والحب حرام بزوغ اليوم، والماء، والطعام كل هذا حرام فالناس محرمون على بعضهم.

لا أستطيع أن أقبلك أيها الطفل الجميل لأنني لا أرغب! ولن أنزل إليك أيها البحر لأنني لا أرغب، صدري ضعيف والطبيب منعني لن أشرب لأنني لا أرغب: هذا محرم على الكبد إلى أن أسكر حتى الثمالة، ويذهب العقل، ولن أركب الباخرة وأذهب إلى حيدر باشا^(١) ومن هناك إلى فان^(٢)، سأموت في الطرقات، ولن أنزل السوق لعن الله السوق! يمكن أن يرص البقال القرامانلي اللؤلؤ على شاربه، ويمكنه تهذيب شعره، ويمكنه أن يغطي جسده كله بالفضة، أتحدث الفضة؟

لوقلي بائع النقل السجق مدخناً بعد أن أشعل النار على المرفأ، وتجمعت القطط حوله، وعوت الكلاب، واحترقت المشعلة، ولو لم ير شيئاً من السجق والخمر، واحتفل بحفل زفاف أربعين يوماً وليلة في مصيف إسطنبول مع قطط المدينة،

(١) -حيدر باشا: حي بمدينة قاضي كوي بإسطنبول.

(٢) -فان: مدينة بالأناضول شرق تركيا.

وكلاهما، والسجق، والصيادين، والحمالين الأكراد سينفذ دكان بائع النقل، وإن ذهب رجل فى اليوم الواحد والأربعين ليشترى السجق مجدداً والسلامى، والسوسيس، والجبن الشيدر، والخمر سىصبح غنياً دون أن يمر أربعون يوماً مجدداً.

مجدداً، يتجول فى السوق بشاربه الغزير الأسود وعليه حبات كمون، وأسنانه وعرقه برائحة الثوم، وبطنه ممتلاً بالجبن، وصدريته كالجيفة، ومعصاه بساكة كاحلى أهذا هو الفرن؟ فى تلك الصباحات الطاهى الذى يشبه السوط يعلم الأطفال صنع الفطائر ذات الدهون القذرة مقابل خمسة وثلاثين قرشاً أعطيه أنا أكثر من ذلك، الفرن الذى لا يفك النقود لأحد من الخوف! فذاك الفرن الذى يبنى صفوفاً من البيوت للإيجار والذى يطعم نعاجه وخرافه مهما كان لديه من عشب ناضج!

والآخر الذى يخلط مع كل نص كيلو من اللحم الشحم الذى يبعث على الجشأ فى ماكينة الفرغ، هو السيد القصاب الذى يفكر فى الشحوم، والماعز، والجاموس جالساً على كرسيه وينبعث رائحة منه تمتد لخمسين خطوة! كأننى أقول لن أنزل السوق لكىلا أرى وجههما، لا ليس لهذا السبب، تأكدوا أننى إن نزلت السوق سأقول للبقال: "يا إلهى سيد نيكو!" وللقصاب: "وأأسفاه سيد هارالامبو!" وللخباز: "أووه سيد عبد القادر!".

وبعد هذا أهم فقط من فى السوق؟ لدينا أيضاً صاحب المقهى إسكانافى، لا يهتمه الدنيا، لا يسمّى النقود نقوداً، إن لم يكن لديه نقود يفكر قليلاً فهم كمثل الجميع، وإن كان لديه النقود يطلق ضحكات صاحبة فلا يفرق كثيراً بين المئات والعشرات، ولا يطمع فى المزيد، رجل كالسكر ففى أحد الحروب اختفى تحت سقف منزله طوال الحرب، وبعد وقف إطلاق النار خرج مرة أخرى، وحكى الأيام التى قضاهها تحت سقف منزله. الاضطرار! اضطر أن يؤجر منزله فى الصيف أثناء الحرب، فاندشت زوجته من كونه يظل محققاً فى السقف دون أن يتحدث، فعندما سمع أن القصاب بدأ لعبته جن جنونه، وفى يوم آخر بعدما فهمت زوجته كيف يطعن قالب الجبن بالسكين النافذة إلى مائدته المستأجرين، وكيف أنه يرفع قالب الجبن إلى السقف أمام أعينهم، وكيف ولماذا يفعل ذلك دون أن يكون مصاباً بالجنون؟ وكذلك بعدما علمت أمر المستأجرين فطنت للأمر عندما دعوا إسكانافى كل مساء لمائدتهم فهذا الماكر عاقل!

وبعد ذلك السيد حلمى الحلاق، ليته لم يرو قصص ذبول شبابه، بعيونه التى تشبه عيون الجن ورأسه الأصلع، فتحزن هذه القصص المرء وتتركه، فحكايات الألاعيب التى كان

يلعبها الحلاق الجميل على عاشقائه من ذكريات ربط كل شيء من الجانب المضحك بالاستمتاع وتحويله إلى مزاح، ومكر وذكاء، وكذلك من ذكريات العالم الممتعة والمضحكة.

ألدينا مزيد؟ هناك السيد بانديلي بائع اللبن، لديه مسدس معلق في متجره، فكل من يدخل متجره ليلاً بعد السادسة يكون من أعضاء المنظمة، وهذه المنظمة هي منظمة تفجير، فهناك إذن لكل أنواع التفجير.

بل إن الأمر قبيحاً بعض الشيء، لكن بمجرد أن يدخل عضو المنظمة من الباب إن لم يفجر بفمه أو بأي شيء آخر يدخل هذا الكهل في حديث مع بائعي الخضراوات والطهارة والبستانيين أصحاب الخبرات، وإن فجّر يعطي السيد بانديلي الصدارة للعضو المنضم حديثاً، فلا أحد يضحك، بل يطلق الجميع ضحكات بأعينهم فقط حسب شدة الانفجار، فتذبل هذه الضحكات في أعينهم ببطء، فتتابع أعينهم وقائع اليوم، وتلك الوقائع تكون بلاهة من لا يكسبون النقود ولا يأكلون، وفي النهاية مثل هؤلاء ممن لا يملأ أعينهم إلا التراب ينهون اجتماعهم بحكمة.

لماذا لن أنزل السوق؟ أنا عضو بالمنظمة، فاسمع قصص الدنيا مقابل حلاقة عند الحلاق، وتنفجر معدتي من الضحك،

ولو لم يحدث أذهب إلى مقهى إسكانافى.

- وأسأله: حسنًا يا سيد إسكانافى. ماذا فعلت العجوز عندما رآته يرفع قالب الجبن إلى السقف؟

- فأجابنى: صلبت، وقالت مريم العذراء، فى راسى، كالىوبى، كيف هذا؟

- حسنًا ماذا عن... لماذا فعلت ذلك إذن؟

- سممت يا رجل هناك رجل على السقف لتفهم الآن، كنت أحدث جلبة ليلاً، ولم ينهضاً من نومهما، كأن تراب الموتى ألقى عليهما، وإن نهضاً قليلاً يقول لزوجته: "يقولون فى راسى، كالىوبى!"، ويقولان: "أيضاً هناك فئران بحجم الإنسان على السقف؟"، خفت من أن يغيطهما هذا الأمر، فوجدت هذا الحل لكى أقول إنه لا يوجد فأر فى السقف.

نعم السوق محرم علىّ. انبعث دخان من السوق المضاء بمصاييح عليها ذباب، وداخلها خمس وعشرون شمعة صغيرة، وأريد أن أقول لماذا لن أستطيع أن أنزل السوق؟ لكن بم يفيد؟ من يهّمه.

وضعت قبعتى، وسترة الصياد وربطت رقبتى كأن أسنانى تؤلمنى وخرجت إلى الشارع، فمررت أمام المقهى، هناك، كان هناك.

عدت، دخلت البيت، واستلقيت على سريرى، وأطفأت المصباح وفكرت، فكرت فى أن أقتل كل من حرّموا على السوق، ولم أفكر فى شيء كهذا فى حياتى فارتديت ملابسى وخرجت إلى الشارع مجدداً ودخلت المقهى، وجلست أمامه، امتنع وجهه عندما رآنى، وارتعشت شفّته ورأيت فى مرآة القهوة رجلاً شاحباً شديد البياض، ارتعبت كنت أنا هذا الرجل، انصرف وذهب من المقهى.

قلت: إسكانافى، أحضر لى القهوة، وحكاية فجوة السقف.

لم يكن لدى إسكانافى نقود فكان غاضباً.

فقال: أنت على البر، لكننى فى الأعماق.

يمكننى أن أنهى القصة هكذا، فتكون هذه أحد نهاياتى، حدث ما حدث لكن لا، لم أنزل السوق، ولم أدخل المقهى شديد البياض، ولم أمر أمام من لم أرد رؤيته، ولم أتحدث مع صاحب المقهى فأنا فى منزلى فى غرفتى، لا أستطيع النزول إلى السوق وحرارتي تسعة وثلاثون، أشعر بالبرد، وارتعش، ومن جانب آخر أحترق. تضع أُمى الخل وتقول لى لا تقرأ ونم، وأطفأت النور وذهبت، أنصت إلى الأجواء، كلب قاشيق أداسى

مازال يعوي، والرياح تصطدم بالزجاج وتهز الأبواب فأنرت
الأضواء.

هذا أيضاً شكل من أشكال النهايات، لكن ليست هذه
أيضاً، ليست هذه النهاية أيضاً، لا أستطيع أن أنزل السوق،
هذه هي النهاية.

دولابدير

أما توجد أسماء لأحياء إسطنبول؟ أعشق تلك الأسماء، فكم هي جميلة، وإن كانت بالكذب أو الخطأ، فأسماء هذه الأحياء تبعث أموراً في خيلة المرء، فتختلط هذه الذكريات المنبعثة من جوانب أخرى، فيدور فيلم داخل ظلمة عقولنا.

نرى دون أن نغمض أعيننا الساقية تسقى البساتين في دولابدير، وكذلك ينابيع البساتين المصفوفة، والدلاء الضخمة، والحصان القديم المربوطة عينيه بمنديل، وصريراً، والماء المتقطر باستمرار من ثقب الدلاء، وعضلات حصان الساقية، وألعاب الضوء والشمس في المياه المرسلة خلف المصببات الخشبية، وتوقف الحصان وتسارعه، وقول البستاني هوووو، والعقب الوردى لفتاة ألبانية حافية القدم، وبذور الخيار على خيط التمر الأحمر، ودخان السجائر، والبستاني الخمسيني المدخن، والكلبة الجامحة عديمة الحياء التي تداعب ذيلها في الهواء بعدوانية وفراء ظهرها المنتصب، وفمها وأنفها السوداءوين والمبتلين تماماً، ولسانها الوردى باللون الوردى القديم.

يمكنك أن تنزل في أي شارع من شوارع حي باي أو غلو حتى الجراج، اخترت أنا أكثرها شاعرية، نزلت من ألما داغ فألما داغ منحدر عمودي، تصطف المنازل على جانبيه، وتنزل المنحدر فلا تصادف التفاح أو الجبل، فتدخل على الأسفلت الذي خرب قبل بضعة سنوات، افتقر الحي فجأة، فترى الأكواخ من الخشب والأحجار، والصاج، والورق المقوى، وترى أطفال عراة تمامًا، ومقاهي دون مرايا، وفرش أو مقاعد، وأناس تفهم سريعًا من يكونون من لكتهم. قال أحدهم:

- آيا، ألا تذهب ابتك للمصنع يا رجل؟

- يا سيد رستم أطردت ابتك مجددًا من عملها وتبيع ملقط الشواء.

الحي يشبه العيد، فتسمع أصوات الطبل، والبوق، والكمان، ويتجول كبار السن بشواربهم السوداء وبناطيلهم، فترى فتيات ترتعب منهم لكن لا يوجد حل للرائحة النفاذة التي لم تعتدها أنفك، فهناك آثار نعال في الوحل من الشتاء الماضي - أي شتاء ماضٍ - من شتاء آخر للأمطار التي أمطرت في اليوم الذي تلى وصولك حي الفاتح بإسطنبول وتوجد رائحة نشادر أسفل الجدار تؤلم العين، وفي الأمام صوت مصنع يُحدث جلبة، فيذهب أغلب شباب الحي إلى مصنع طباعة الألوان هذا، هذه

البيوت المهجورة حولت ما حول المصنع إلى شوارع دون سلام،
تبعث برائحة جلد الماعز، والنشادر، ومخلفات المصنع، ها هي
دولابدير، وإن عدت للأسفلت مرة أخرى تسير نحويني
شهير، على يمينك كنيسة فانجليسترا التي تشبه قلعة مستبد،
فإذا حلّ المساء وكان هذا اليوم مقدسًا تجدد كنيسة، فانجليسترا
مضاءة بالشموع والنجم في الظلام، كأن الأميرات يرتدين
رداء عاري، والكونتيسات، والدوقات اللاتي يضعن المساحيق
البيضاء والشعر المستعار يرقصن (البولكا) ^(١) مع الأمراء.

ترعرعت الفتيات المسيحيات في هذا الحي التي تعمل
دون مقابل في مئات بل الآلاف من دكاكين حي باي أوغلو
والخياط، والحلاق، والمقهى الليلي، وخزانة الملابس، وبائع
الحلوى، والحانة، وخياط النساء، وبائع الفراء، والسينما، وتربى
البنائون، والدهانون، وصبية صائغي المجوهرات، والخراطون،
وصانعو الأزرة، والنجارون، والمهرة في صناعة المفاتيح،
والعمال، والصبية في هذا الحي أيضًا، ويمكن مصادفة في هذا
الحي كل شيء ونقيضة النشالين التائبين، ومدمني الهروين الذين
خرجوا حديثًا من المستشفى، وقارئ البخت، والوضيعات
ما بين عامي ١٩٠٠ إلى ١٩٥٣، الأوباش القدامى، والأوباش

الجدد الأنيقين الوسيمين مخالفى العادات والتقاليد يضعون في جيوبهم سكاكين، واللصوص، والمبتزّين، الشباب الذين يكسبون أقواتهم من العجائز الغنيات، ومن يبحثون عن زبون، الأمهات القوادات على بناتهن، ومن يبحثون عن زبائن لزوجاتهم تصادف رائحة اللحم، والجوع، الراقى، والحب، والشهوة، الخير والشر.

بمجرد أن يحل المساء تسمع الصافرات التي تعرف بعضها في كل شارع، وهممة الحب اليوناني في الزوايا المظلمة.

وإن أمطرت يصيب السيل الحي هنا أولاً، وفي حين تغرق الأحياء الأخرى في نسمات كاللحم في ليالي الصيف، لا تتحرك أوراق الشجر هنا، ومقاهي يني شهيرة وحاناتها كبيرة وجميلة، والسوق مضاء وتنبعث منه رائحة الكوكوريتش^(١)، ومقلاة بلح البحر، والمحار، والفجل الأحمر، والبقدونس، ومقلاة الكبدة، والخمر، والسّمك المشوي، والراقى، ترى شاباً غريبين وكبار يبلغون الخمسين من الحي شعرهم يتدلى على جباههم ويرتدون بناطيل ونعال متوسطة الارتفاع وأحزمة حمراء مخصّصين للسجن فقط.

(١) - الكوكوريتش: طعام تركي.

مرض

ولأنه سِيُصادف قريبًا المزيد من أمثاله، فهذا يعنى أن ليس للمضادات الحيوية تأثير على هذا الفيروس بعد وفى هذه الحالة يصيب ذلك المرض المرعب واحدًا من ألف من بين البشر دون علاج ولا تنظر لكوني وصفته بالمرعب! فهو كذلك فقط للمستسلمين، بينما يكون ممتعًا على رعبه، بقدر لا يمكن تصوره للصامدين، نعم ممتع جدًا، ممتع لدرجة أنك إن فكرت ولو لدقيقة أنك مصاب بهذا المرض سيمكنك حينها ركوب القطار الكهربائي، والحافلة، والقطار مجانيًا، فتلقي خطابًا وراء خطاب، وتتناقش حول أجندة الأعمال، وتدخل المجالس وتخرج منها، وتبادل الترحاب بالوزراء، ترسل الدعوات وتتلقها، الخلاصة أنك تضع نفسك مكان نائب في البرلمان لدقيقة، فترتاح، اكْتُشف الآن اسم هذا المرض: مرض النائب.

وهو مرض نفسي: العلاج النهائي لكل الأمراض النفسية في يومنا هذا هو (الشكولاتة)، لكن بعدما لم يتم الانتخاب بعد عشرين محاولة دون جدوى أصبح هناك من يقاومون

(الشكولاتة)، تذكري برحابة مرض النائب لدي الذي مر عليه أكثر من ثلاثون أو أربعون عامًا يدلل أني وضعي ليس كالمريض المصابين حديثًا بالمرض نفسه، فيمكن لكل مواطن الآن أن يكون عضوًا في البرلمان، ويصدر إعلانًا انتخابيًا، ويقوم بعمل دعاية، ولن يظهر أنه مصاب بمرض النائب، ولا سيما أنه تعلم، وقدم أفكارًا بناءة هنا وهناك، وأظهر حدة الذهن انتخب، أو لم يُنتخب، فلن يُعد مريض بهذا المرض وإن جاهد لكي لا يظهر وضعه في الأربع سنوات، فالكارثة أن هذا المرض في البداية لن يُطلق عليه مرض، لكن بعد تخطي الأزمة الراحة لازمة. سأحكي لكم قصة قروي مسكين تتجدد أزمته كل يوم ويجدها.

بعض قروي المدينة التي ولدت فيها قريبون من البلدة، فبعدما أزيلت الحقول دخلوا على الفور إلى القرية الكبيرة أي بلدتنا، فقاطنوا القرى المجاورة يحسبون أن التحدث مع أهل البلدة شرفًا كبيرًا، فمثلاً إن تعرفوا على كاتب البلدة، أو موظف الإسكان، أو رئيس البلدية، أو مدير التلغراف سيكون كل شيء على ما يرام، خلعوا عباءة القرية، فلا يمكثون في القرية أبدًا، وإن كان لديهم وقت وأحوالهم على ما يرام يذهبون إلى مقهى البلدة، وفي بعض الأمسيات يذهبون إلى النزل الذي يتواجد فيه الموظفون في وقت الكراهة، فإذا شربوا كأسين من الخمر مع

معلمي اللغة الفرنسية في الإعدادية عندما يعودون إلى القرية يظنون أنفسهم قادرين على التحدث عن باريس.

وكان المعلم رحمت واحدًا من هؤلاء القرويين، مثقفًا، يلقي الشعر، ويعزف الساز، يصلي، ويقرأ ورده من القرآن، فقد كان شابًا زكيًا، محبوبًا، ونشيطًا قبل سبعة وثلاثين عامًا، ولا أحد يجذب بقاء الشاب القروي بعد موسم الحصاد في قرية قريبة من البلدة بهذا القدر دون عمل، حتى أبوه فيذهب عند شروق الشمس إلى مقاهي البلدة وأسواقها، ويتناول الكباب ظهرًا، ويصلي الظهر في مسجد (أورتا جامع)، يذهب عصرًا إلى مكتب المعلم حسن من الأعيان ليتحدث معه، فيتحمس، فيصبح شابًا قرويًا كالنار بوجهه الأحمر بطبيعته، وعينه البنية المستديرة التي تلف باستمرار، يتحدث على طبيعته، ولكن صدقًا.

لم أصادفه في بداية مرضه كنت صغيرًا، اندلعت الحرب العالمية الأولى بينما كنت صغيرًا، كنا في أثناء الحرب فكأنني رأيته في مقهى البلدية بين مجتمع الموظفين، يرتدي بنطالًا ضيقًا، وسترة الإسطنبولين، ولا أعرف إن كان يرتدي قميصًا رسميًا، وربطة عنق سوداء، وعيناه البنيتان محمرتان واقفًا على قدميه، فإذا كان يقول؟ لا أتذكر جيدًا، كنا طلابًا بالمدرسة نرتص على سياج حديقة فندق البلدية، فناده مدير إدارة الدين العام من أمام الحوض:

- تفضل سيد رحمت، تفضل هنا.

قام من مكانه، وجلس على كرسي باحترام.

- أيها النادل! أحضر القهوة للسيد النائب ولتكن في

فنجان كبير.

قال الكاتب:

- أيمكن هذا يا سيد؟ أيمكننا أن ندفع لمرشح أن يكون

نائبًا؟ هو من سيدفع لنا.

رد رحمت:

- سأعوضكما بعدما أصبح نائبًا لدي بقرة وثوران

بخلاف حقل ثمانية أفدنة محجوزًا عليهم في الوقت الحالي

بسبب الضرائب، لذلك لا يمكنني أن أشتري لكم القهوة.

كذب، فالسيد رحمت بخيالاً، هو أحد أغنياء القرية نادى

مدير الإسكان على رئيس البلدية قال له:

- أيها المعلم رحمت إن طلبنا منك خطابًا مختصرًا مفيداً،

أنتفضل علينا؟

انزعج المعلم رحمت كثيراً من مدير الإسكان فقال:

- اعتقد انه لن يكون لازماً كوني معلماً لكي أذهب

هموم ومتاعب قروي دائرتي بعدما أكون نائباً، فتخرجني من

المدرسة الرشدية كافٍ.

وكان قد أنهى المعلم رحمت المدرسة الرشدية المعروفة باسم
(مدرسة سبورجى) حاصلاً على المركز الأول.

قال رئيس البلدية:

- أرايتَ، فقد أغضبت المعلم رحمت مجدداً، أيمكن هذا؟
لا تحزن نفسك يا سيد رحمت! سأدعمك هذه المرة بكل ما
أوتيت من قوة، فلن تمنع مساعدتك عنا فى المجلس حينها.

قال رحمت:

- الأمر قبل الأدب، وكان يقبل يد رئيس البلدية.

قال رئيس البلدية:

- استغفر الله، معاذ الله، قام ثم جلس مرة أخرى فألقى
علينا خطاباً صغيراً الآن، انظر أنا العبد الفقير أرجوك لذلك.

- على العين والرأس يا سيدي.

صعد المعلم رحمت فوق الكرسي وقال:

- مواطني الأعزاء! لا يلزم القيام بأعمال كبرى لتحويل
كل قرية فى وطننا الجميل إلى جنة، ستتحل المشاكل من تلقاء
نفسها إن تفضلتم بانتخاب بعض القرويين نواباً، لكن وضع
قراناً معروفاً، فوضعها سيء، وجميعنا يعلم هذا، فمن غير

القروى يسعه معرفة هم القروى؟ وسأحاول بكل ما أوتيت
من قوة أن أحلها إن انتخبتمونى نائبًا، فسأقوم أولاً بإلغاء
الضرائب.

فانبعثت أصوات تقول: فليحيا، ويعيش.

انحنى السيد رحمت برأسه احترامًا واستكمل:

- سأقضى على قطع الغابات وتخريبها دون طائل.

- رائع، فلتحيا!

- سأزين المرتفعات الجرداء بالأشجار.

- فليحيا نائبنا!

- فإن اكتظت سكاريا، فسأقوم ببناء سدود؛ لكيلا يتم

التعدي على حقولنا.

- سلمت.

- سأوزع الأراضي الفارغة على الفلاحين، وسأبني

الصوامع.

ينحنى وإن لم يكن هناك تصفيق:

- سأمربزراعة التوت، وسأقضى على الحشرات، وسأبني

المتاحف، والتنقيب.

- فليحيا المعلم رحمت!

عندما رأى رئيس البلدية أنه سيستمر فى هذا، وأن طلاب المدرسة، وبجوارهم صبية البقالين، والحلاقين، والقصابين اصطفوا بجوار بعضهم يصفقون، أحضر الشرطة لتفريقنا.

وما رأيناه من بعيد رجلاً فوق الكرسي يثر الوعود، أحمر الوجه وما سمعناه: بعض الجمل يهتف بها أصحاب الحقول بالسرعة نفسها جاءت تباعاً مثل (الحرية، المساواة، العدالة، سدود، حقول جرداء، ضرائب، ثيران، عصا، حساء الترخانة، الجنة، المحبة).

ذهب المعلم رحمت مع الموظفين إلى مطعم صغير بالمدينة، أكلوا وشربوا باستضافة رحمت، فألقى خطاباً فى المطعم، حتى منتصف الليل، ركب رحمت حصانه، واتخذ طريقه إلى القرية ثملاً وعندما عاد ممتقع اللون صباح اليوم التالى للخطاب إلى مقهى المدينة لم يرغب فى إجباره على إلقاء خطاب مجدداً.

عندما سلم عليه أحدهم قائلاً: "يا إلهي أيها النائب!" غضب من الحرج، ثم أصبح طبيعياً، فتملكه خوف.

- تحدثنا مساء أمس بكلام لا يليق، ترى أتحدثت بصراحة فظة؟ عظمة اللسان غير موجودة يا أخى. فقلنا على سبيل المزاح من نحن ومن النائب؟

فتحدث موظف حديث العهد من أمام الطاولة:

- أي مزحة هذه يا أخي؟ لقد كتب رئيس البلدية صباحاً اسمك في المنصب الجديد أمام عيناى، إن لم تكون نائباً هذه الدورة سيستقيل، فرئيس بلديتنا العزيز يقول: آه! عيب عليّ، هذه وقاحة، لن أحمل في رقبتى ذنب عدم تنصيب رجل في ذلك المظهر والتفكير نائباً منذ عدة دورات، ولم يقول شيئاً آخرًا.

- أحقاً هذا يا سيد عبد الله بالله عليك؟

- لتنهال النعم!

خطاب صغير مختصر! هيا في المطعم! هيا في هذه الاستضافة!

بعدما أنفق المعلم رحمت الصفيحة الذهبية التي ورثها عن أبيه لم يذهب للمدينة، وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وظهر بعدها وفي ظهره رصاص حرب الاستقلال، أصبح ظهوره واختفاؤه واحداً، بعد إعلان الجمهورية ظهر في المدينة في الدورة الثالثة، وقد حلق لحيته وشاربه، ويرتدي بنطالاً رسمياً وجده حيثما وجده، وستره، ويحمل قبعة في يده، لم يرتديها قط؛ لأن رأسه المحلوقة بالموس كبيرة، اعتاد أن يضع وردة على ياقة معطفه الذي تدلى تنورته حتى كعبه.

ذات يوم تمكن من دفع بضع قروش ثمن ضيافة فى المطعم مجبرًا عندما بشرهم أحد رقباء البلدية بأن رئيس البلدية اختاره نائبًا فاصطحبوه إلى قطار أنقرة كمزحة، أمسكوه وهو يركب القطار، قالوا: تم تجهيز قطار خاص، سيأتي الآن، ستذهب به، ثم انسلوا، انتظر المعلم رحمت أربع وعشرين ساعة فى المحطة، وفى النهاية ركب فى القطار القادم، نُصبت مقصورة النائب، أعلم أنه ذهب فى طريق طويل، وغير معلوم إلى ما وصل الأمر فى المحطة وفى أي محطة نزل.

ويقولون أنه يتجول منذ وقت طويل من هذه المحطة إلى تلك ومن تلك إلى أخرى ناصبًا مقصورات للنائب، ولم يستطع الوصول إلى أنقرة بحال، وفى النهاية رأيناه عاد للمدينة وقد تمزقت تنورة معطفه الطويلة، وتقطعت ربطة عنقه، وتحول قميصه من الأبيض إلى الأسود القاتم، وفى قدمه حذاء لماع والأخرى حذاء يمى، أحضروه إلى القرية، لكنه فى أقرب فرصة يذهب إلى المدينة، ويركض إلى المحطة، ويتنظر قطار أنقرة، وحتى لو لم يكن هناك أحد فى مقصورة النائب، يُسمح له بالجلوس فى المقصورة بضع دقائق إن كان ناظر المحطة فى مزاج جيد، ثم يتم إنزاله فى المحطة بمنتهى الاحترام والتكريم كما أنه وصل أنقرة، وتصطحبه الشرطة إلى القرية.

سبات أفعى

ها أنت وجهًا لوجه، ها هي مثلك تمامًا، لديها يدان
وقدمان، عينان وحاجبان، تصح وتمرض، شقراء وسمراء،
لديها رأس، ورموش، ولسان يكذب، وفي وجهها آثار عراك
بسيط، وحجر، وسقوط، بها كل ما بطفل مشاغب كل علاماته،
ها هي يداها، وأصابعها، وقدمها، من هي؟ إنسان! فهي
مثلك تمامًا.

ها هي الدموع في عينيها تارة، وتارة أخرى تبتسم، تقضم
الخبز، انظر فقد وضعت في فمها سلطة البطاطس، وتضع في
شوكتها سمك الماكريل، وعلى فمها كأس الخمر، الإنسان
مثلك تمامًا مختلف، وفوق ذلك تحبها، وتحب التواءات شفيتها،
وسواد شعرها، وتقطب حاجبيها، وتجاعيد الشباب في جبهتها.

ها هي مختلفة تمامًا مثلك، أتت لتلدغ، تقرأ الجريدة، ها هي
علبة السجائر وتوقع الأوراق، وتأكل البرتقال، وتغني التركو،
تغني باللغة التركية التي تعرفها أنت وتجري في عروقتها أغنية
(فللي الأسود فللي فللي)، وبعدها تغني (تركت الركض وراء

الغنى وإبراهيم الآن)، ها أنت وجهها لوجه، هيا أعرّفها لنرى،
وأفهم، عرّف نفسك لنرى، ها هي تمل، وتتنفس بعمق، وتمد
أصابعها التي تحبها أنت نحو علبة السجائر، ويخرج الدخان
من بين التواءات شفيتها التي تحبها أيضاً، هيا لنرى، اعرّفها
لنرى من هي؟ وكيف تفكر فيك؟ وأين ترغب أن تكون في
هذا الوقت؟ أتعباً بحبك؟

هيا اعرّفها لنرى " فلفلي الأسود، فلفلي الأسود، فلفلي
الأسود، كيف نفعلها، كيف، الشرطة قادمة، لنهرب ".
ها أنت وجهها لوجه، هيا لنرى، قل ما ستقول، وتحدث
بما تتحدث، هي تسمع أيضاً، تنصت، تحدث عن الحب، فماذا
سيحدث، ستحدث أمورا إن فهمتها أنت وليس إن فهمتك .

ها أنت وجهها لوجه، تنهض فجأة فيمكنك أن تقبلها من
شفيتها، فتغمض عينيها، تغمضها بجمال، ربما لكيلا تراك، لا أنت
تفهمها ولا هي تفهمك، ربما لا يكون الفهم من صالح أي منكما،
" اعرف، اعرف، اعرف نفسك "، ابدأ بذلك، بعدها ستفهمها.

فجأة انفتح باب الغرفة التي كنا فيها، وهبت رياح،
ودخلت شجرة تساقطت أوراقها من البرد، ومن خلف
الشجرة دخان ومن خلف الدخان عصفور، ومن خلف
العصفور سحابة.

بعدها، بعدها تساقط الثلج، وبدأ الثلج يتساقط على زجاج المكتبة، نفذ ضوء المصباح خلال الثلج، وبرد الضوء فدخل في زجاج المصباح الموجود في السقف، تجمدت جيوب ملابسي، فلا يمكنني أن أضع يدي في جيبي، تحترق المدفأة متأججة، فينصهر الجليد فوقها، من كانت بجواري، منذ قليل ذهبت إلى الغرفة المجاورة، وفتحت الباب الذي يفصل الغرفتين، ونظرت إليّ، حط العصفور على الشجرة، وجلس ونفش ريشه، فحت الأفعى للطائر، فلم يجيبها، نظرت إلي وقالت:

- تجمدت هنا، تعالَ إلى هذه الغرفة!

أكملت وقالت:

- دافئة يا رجل.

كأنني أسألها (هل هذه الغرفة دافئة؟).

وقالت:

- مني.

كأنني سألتها (هذه الغرفة ساخنة، مني؟).

نظرت إلى المدفأة تحترق متأججة، ما إن مسحت بيدي على أنبوب المدفأة سحبتها لأنني شعرت إنه سيحدث عطل بها.

قالت: "لا يوجد شيء بالمدفأة!"، كأنها تراني من الغرفة التي بها .

ذهبت إليها، السرير جاهز، وكانت قد انكمشت في الزاوية، فانسللت جوارها، كانت دافئة كالحمى، قلت:

- تجمدت بمفردي في الغرفة التي بها مدفأة.

أجابتنى:

- الوضع جيد هنا! ماذا عن العصفور؟

- فوق الشجرة.

- سيتجمد المسكين، احضره هنا هو أيضاً.

- دع العصفور الآن.

تولدت داخلي ثمة أمور، فاستغربت كل شيء حولي فجأة، جوارها كان دافئاً، والمدفأة تتأجج داخل الغرفة الأخرى، لكن الثلج موجود على زجاج المكتبة، وهناك شجرة هناك تجمع الثلج على أغصانها الجافة، فتجمد العصفور فوق أغصانها، سيخرج صباحاً أو لن يخرج، قالت مجدداً: "احضر العصفور هنا، احضره هنا!".

نهضتُ رغماً عني، ودخلتُ غرفة المدفأة، أخذتُ العصفور من فوق الشجرة، وأزلتُ الثلج المتراكم على زجاج المكتبة بظفري، فنظرتُ إلى المدفأة التي أوشكت أن تنطفأ، فوضعتُ عودين من الخشب، عدتُ فوجدتُ السرير خاوياً، تركتُ هي ورقة فوق الخزانة ذات الأدراج بجوار السرير، أخذتها وكانت قد طويتها نصفين فتحتها؛ إذ بها فارغة تركتُ العصفور فوق الخزانة، بدأ يزقزق وما زالت الغرفة دافئة، تدور حول رأسي التواءات شفيتها، والجرح المتبقي من الطفولة المشاغبة كالتأثرات الورقية التي كان يصنعها الأطفال في ساعات مذاكرتهم، فجلستُ فوق سريري، وأشعلتُ سيجارة، وكانت الشجرة في الغرفة الأخرى تدق على الزجاج المغطى بالجليد، وكنت أسمع صوت المدفأة، قُرع باب الغرفة التي كنت فيها، فقلت: "ادخل!".

دخل رجل يرتدي معطفاً واقياً من المطر اخضر اللون، فقلت له تفضل، من تريد، حذق الرجل في وجهي، والتفت حوله، وقال أين هي؟ سألته من؟ قال من كانت معك منذ قليل، لا اعرف قامت وذهبت، أزال اللحاف ونظر إلى وجهي، وسألني لماذا تكذب؟ عدت، فنظرتُ مرة أخرى وجدتها نائمة حيث انكمشت، تغط في نوم عميق، والعرق على جبينها، طار العصفور من فوق الخزانة وحط على شعرها، وغرد كبلبل في غابة نائية.

ذهبت مع الرجل إلى الغرفة الأخرى، فإذا بالثلج يهطل على الغرفة، فتجمع على سترته الخضراء وبيجامتي، لكن شعرت بالبرد، وهو ينفخ في يده ويحكهما، قال: دعها تنام ولتحدث معاً، لا يوجد ما نتحدث عنه وهنا أيضاً الجو بارد، لا بد أن أذهب وأنام أنا أيضاً سأستيقظ مبكراً غداً، تقطّب وجهه، وارتعشت يدهاء فقلت له لا تحزن، إن أردت نتحدث، ولكن أضع شيئاً عليّ، خرجت، وارتديت معطفي وجئت، تغيرت الغرفة فجأة، فأخذت طور غرفتي المعتاد دائماً، جلس الرجل على الأريكة بارتياح، وشرب سيجارة، وعندما رأي قال لي: اتفقنا، اتفقنا، فسألته مع من اتفقت، ابتسم وقال لي: العصفور أخبرني، انشرح صدري، إن أخبره العصفور فسيخبره أموراً جيدة، أتخبر العصافير بسوء؟

- أتحدث العصافير؟

قال لي بالطبع تتحدث، أمي كانت تقول لي وأنا صغير أخرجت لسانك للمعلم في المدرسة وهذا عيب أليس كذلك؟ فكنت أجيبها والله كذب يا أمي، من قال لك هذا، كانت تقول لي العصفور قال لي، فهو أيضاً العصفور نفسه، سألته أقال كل شيء، نعم.

ارتحت، أنقول العصافير سوءاً؟ فلا بأس من شائعات صغيرة.

قلت: إذا لا يوجد مشكلة!

قال لا، لا.

سأشرب سيجارتي وأرحل، بدأ الثلج يجتمع فوق المكتبة مجدداً، فتح الباب، فدخلت الشجرة، انتظرت العصفور يدخل خلف الشجرة، لم يدخل، ودخلت سحابة، تغيرت الغرفة مجدداً، وبردت مرة أخرى، تساقط الثلج هذه المرة من أطراف الكتب، قلت لنفسي لا يوجد شيء، يبدو أن الرجل تغير انكمش على الأريكة، ينفخ في يده ويهز رأسه، واحمرت أنفه من البرد، لكن كان ينظر إلي ويتسهم لا لم يتغير، كما كان منذ قليل. وقال: آه استأذذك الآن، طاب مساؤك.

قلت: طاب مساؤك.

قلت: طاب مسائكم.

لم أرغب في الذهاب إلى الغرفة الموجودة بها، على كل ستكون نهضت وذهبت منذ وقت طويل، والعصافير ستكون خرجت وحلقت معاً، لكن مازالت الغرفة دافئة، خلعت الشجرة وألقيت بها من باب الشرفة، وذهب الدخان والسحابة من تلقاء نفسيهما، بردت غرفتي قليلاً، كانت المدفأة تتأجج، فأخفضت مفتاحها قليلاً، ذهبت إلى الغرفة التي كانت بها،

وأزلت اللحاف، فكانت تغط في نوم عميق في الزاوية التي
انكمشت فيها، فاحتضتها، فظل العصفور يتقل من رأسها
فيحط على رأسي ومن رأسي إلى رأسها، فسمعت صوت جناح
العصفور، ونومها العميق حتى الصباح.

الفهرس

١١	التعريف بالؤلف
١١	يا لها من قصة!
٢٥	الإنسان الذي خلفته الوحدة
٣٩	أفعى في ألما داغ
٤٥	حلم بانكو
٥١	تمثال مليحة
٥٧	الحرفي يني
٦٣	قصة لشخصين
٧٧	رضا مليونير
٨٩	بيت اللبلاب
٩٩	مقهى افتاليكوس
١٠٧	أيا، أيا!
١١٣	موت سمكة الجندوري
١١٩	الرأس والزجاجة
١٢٥	لن أنزل السوق
١٣٧	دولا بدير
١٤١	مرض
١٥١	سبات أفعى

